صَدَى الكَلِمَات

سيرة ذاتية



أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر
العراق 2026

صدى الكلمات

سيرة ذاتية

أنور غني الموسوي

صدى الكلمات

سيرة ذاتية

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

العراق 2026

المحتويات

المحتويات 1

المقدمة 3

نُورُ الأَثَرِ فِي مِحْرَابِ العُمُر 4

نَسَبُ الطَّهَارَةِ وَامْتِدَادُ السُّلالَةِ 5

مِحْرَابُ العِلْمِ وَتَوَارُثُ الحِكْمَتَيْنِ 6

رِحْلَةُ البَيَانِ وَمَجَرَّاتُ الاسْتِشَارَةِ 8

مَوْجَةُ التَّجْدِيدِ وَعَامُ الانْطِلاقَةِ الكُبْرَى (2014..... 10

سَنَةُ خِتَامِ التَّطْبِيبِ وَبَعْثِ المَلَاحِمِ (٢٠١٥) 12

عِصْفَةُ النَّقْدِ وَمَحَارِيبُ السُّنَّةِ (٢٠١٦) 13

عَالَمِيَّةُ المَرَايَا وَثَوْرَةُ الفُسَيْفِسَاءِ (٢٠١٧) 15

جَامِعِيَّةُ الأَثَرِ وَعَهْدُ الِانْقِطَاعِ لِلْحَدِيثِ (٢٠١٨) 16

سَنَةُ الجَوَائِزِ الكُبْرَى وَشَرَفِ التَّصْدِيقِ (٢٠١٩)..... 18

سَنَةُ التَّأْصِيلِ وَتَثْبِيتِ أَرْكَانِ المَدْرَسَةِ العَرَضِيَّةِ (٢٠٢١)..... 19

سَنَةُ الفِقْهِ الكَمِّيِّ وَبَعْثِ كَلِمَاتِ الفُرْقَانِ (٢٠٢٢)..... 21

سَنَةُ المَوْسُوعَاتِ الكُبْرَى وَتَيْسِيرِ الفُرْقَانِ (٢٠٢٣)..... 22

سَنَةُ التَّصْدِيقِ الشَّامِلِ وَتَدَبُّرِ النَّبْعِ الأَوَّلِ (٢٠٢٤) 23
زَمَنُ النّورِ المَعْرِفِيّ وَإِعْلَانِ الِاجْتِهَادِ العَرَضِيّ (٢٠٢٥)..... 25
سَنَةُ البَيَانِ الذَّاتِيّ وَفَتْحِ مَضَامِينِ الفُرْقَانِ (٢٠٢٦) 27
مَحَطَّاتُ مَحَابِرِي الأُولَى سَطْراً بِسَطْرٍ 29
مَحَارِيبُ فِقْهِ القُرْآنِ وَتَبْيِينِ النَّسَقِ الأَعْظَمِ 33
مَحَارِيبُ فِقْهِ الحَدِيثِ وَغَرْبَلَةِ المَسَانِيدِ بِعَيْنِ العَرْضِ..... 36
مَحَارِيبُ فِقْهِ العَقَائِدِ وَتَشْيِيدِ مَدَارِسِ القَطْعِ..... 39
مَحَارِيبُ فِقْهِ الفُرُوعِ وَتَحْرِيرِ أَقْوَالِ الشَّرِيعَةِ القَاطِعَةِ..... 44
مَحَارِيبُ الكَلِمَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَالْقَصَائِدِ الفُسَيْفِسَائِيَّةِ 46
صَدَى عُبُورِ الحَرْفِ التَّعْبِيرِيّ إِلَى لُغَاتِ الأُمَمِ 52
مَحَارِيبُ الِاجْتِهَادِ وَأَلْوَاحُ الشَّهَادَاتِ الرُّوحِيَّةِ..... 56
الرَّوَافِدُ وَالْيَنَابِيعُ وَمَهْدُ النَّشْأَةِ الأُولَى 58
قَصِيدَةُ رَجُلٍ عِرَاقِيٍّ 73

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْسَابُ حُرُوفِي مِنْ مِحْرَابِ ٱلْبَوْحِ لِتَرْوِيَ حِكَايَةَ ٱلْعُمُرِ، وَتَنْسَكِبُ كَلِمَاتِي أَلْوَاحَ يَقِينٍ تَجْمَعُ شَتَاتَ مَسِيرَتِي؛ بَيْنَ طِبَابَةِ ٱلْأَجْسَادِ وَنَقَاءِ ٱلْأَرْوَاحِ، فِي كِتَابِي هَذَا «صَدَى الْكَلِمَاتِ».

مَا أَجْرَيْتُ دَمْعَ ٱلْحِبْرِ فِي هَذَا ٱلسِّفْرِ إِلَّا لِأَبْعَثَ نَبْضَ ٱلْمَعْنَى ٱلْأَصِيلِ، وَأَصُوغَ مِنْ رَوَافِدِ نَشْأَتِي وَشَغَفِي بِٱلتَّفْسِيرِ عَذْبَ ٱلتَّرَاتِيلِ، حَتَّى تَعَانَقَ فِي كَفِّي ٱلْمِشْرَطُ وَٱلْقَلَمُ، وَٱرْتَقَى مَسَارِي لِيَفِيضَ بِيَنَابِيعِ ٱلْبَيَانِ وَيَنْجَلِيَ بِهِ ٱلْأَلَمُ، فَتَسْتَقِرَّ هُنَا خَزَائِنُ مُؤَلَّفَاتِي مَبْذُولَةً لِلْعُقُولِ بِلَا حِجَابٍ، مُتَوَّجَةً بِشَجَنِي ٱلْعَالَمِيِّ فِي مَلْحَمَةِ رَجُلٍ عِرَاقِيٍّ يَفْتَحُ لِلْإِبْدَاعِ كُلَّ بَابٍ.

أَحْمِلُ هُوِيَّتِي ٱلْمُؤَجَّلَةَ وَمَرَافِئَ شَجَنِي كَرَجُلٍ صَنَعَتْهُ ٱلْحُرُوبُ وَسَلَبَتْهُ ٱلْمَلَامِحَ، وَأُلَمْلِمُ نَشْأَتِي ٱلْبَسِيطَةَ فِي جَنُوبِ ٱلْغَيْمِ لِأُغَنِّيَ تَرَدُّدِي ٱلشَّرْقِيَّ ٱلْكَابِحَ، عَابِرًا صَحْرَاءَ هَامِشِي بَحْثًا عَنِ ٱلنَّقَاءِ، وَمُنَقِّبًا عَنْ زَمَنِي ٱلضَّائِعِ بَيْنَ أَرْوِقَةِ ٱلصَّفَاءِ، لِأَسْكُبَ يَوْمِيَّاتِ طَبِيبٍ يَذُوبُ فِي مَلَاذِ قَصَائِدِهِ، وَيَمْزِجَ بَيْنَ بَلْسَمِ مِشْرَطِهِ وَشَجِيِّ أَنَاشِيدِهِ، رَابِطًا جُغْرَافِيَا ٱلرَّفْضِ فَوْقَ جُسُورِ ٱلْمَنَافِي ٱلْبَعِيدَةِ، وَمُصَارِعًا بِقَلَمِي سِيَاسَاتِ ٱلْعَالَمِ ٱلْعَنِيدَةِ، حَتَّى

أَعُودَ فِي آخِرِ طَوَافِي مُنْكَفِئًا نَحْوَ تَرَانِيمِ أُمِّي كَمَلَاذٍ أَخِيرٍ، وَأُلْقِيَ عَنْ كَاهِلِي تَعَبَ ٱلْمَسِيرِ.

نُورُ الأَثَرِ فِي مِحْرَابِ العُمُر

تَسِيلُ مَحَابِرِي فِي شَرَايِينِ وَمَجَارِي الأَنْهَارِ، فَتُلَوِّنُ سُطُورِي قُلُوبَ وَأَوْرَاقِ الأَشْجَارِ. لَمْ تَكُنْ رِحْلَتِي فِي مَسَارِبِ الطِّبِّ وَالْفِقْهِ إِلَّا سَعْياً لِقِرَاءَةِ كِتَابَيْنِ: كِتَابِ الإِنْسَانِ الْمَنْقُوشِ بِالآلامِ، وَكِتَابِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ مِنَ الأَوْهَامِ. فَمِنْ مَهْدِ "الْحِلَّةِ" الطَّاهِرَةِ، أَوْقَدْتُ سِرَاجَ الْبَحْثِ بَيْنَ النَّجَفِ وَبَغْدَادَ، فَامْتَزَجَ مِشْرَطُ الشِّفَاءِ بِقَلَمِ النَّقَاءِ، وَاسْتَحَالَتْ أَعْوَامُ الدِّرَاسَةِ وَالتَّطْبِيبِ إِلَى سِيَاحَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي مَلَكُوتِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، حَتَّى بَلَغْتُ فِي الطِّبِّ رُتْبَةَ الاسْتِشَارَةِ، وَفِي بَيَانِ الْحَرْفِ جَامِعِيَّةَ العَرَبِيَّةِ وَالإِنْجِلِيزِيَّةِ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي بَيْنَ دَفَاتِرِ الْمُرْجِفِينَ وَأَنَا أَمْلِكُ النُّورَ الْمُبِينَ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَخْبَارِ الآحَادِ وَالظُّنُونِ، وَأَمَامِي صِرَاطُ اللَّهِ الْمَضْمُونِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلْبِي؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ جَمْعاً لِلْمَرْوِيَّاتِ، بَلْ هُوَ عَرْضُ كُلِّ قَوْلٍ عَلَى مُحْكَمِ الآيَاتِ. حِينَ تَتَلَاطَمُ أَهْوَاءُ الطَّوَائِفِ، تَسْكُنُ نَفْسِي إِلَى إِسْلَامٍ نَقِيٍّ بِلَا مَذَاهِبَ، فَالْقُلُوبُ الْعَمْيَاءُ لَا تُطْفِئُ الْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةَ. وَمِنْ هُنَا، انْطَلَقَتْ يَدِي تَصْنَعُ مَفَاتِيحَ الأَزْمِنَةِ،

فَأَثْمَرَتْ أَرْبَعَمِائَةِ كِتَابٍ، وَأَسَّسْتُ "الْفِقْهَ الْعَرَضِيَّ الْقَطْعِيَّ"، وَنَادَيْتُ بِالْقَصِيدَةِ السَّرْدِيَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ؛ لِيَكُونَ الْبَيَانُ مِرْآةً لِلْحَقِيقَةِ الْعُلْيَا.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ أَغْلَالَ التَّقْلِيدِ، وَأَسَّسَتْ لِلْفِقْهِ التَّصْدِيقِيِّ مَنْهَجَ التَّجْدِيدِ. إِنَّ خَزَائِنَ الظُّنُونِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْحَقُّ الْمَعْرُوضُ عَلَى الْقُرْآنِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَحُولُ. فَلْيَمْضِ الْعُمُرُ فِي مِحْرَابِ التَّصْفِيَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ، وَلْتَبْقَ صَرْخَةُ "مُسْلِمٌ بِلَا طَائِفَةٍ" دُسْتُوراً تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ، فَالْمَعْنَى الرُّوحِيُّ خَالِدٌ، وَمَا سِوَاهُ هَبَاءٌ مَبْثُوثٌ.

نَسَبُ الطَّهَارَةِ وَامْتِدَادُ السُّلالَةِ

تَنْمُو شَجَرَةُ نَسَبِي مَغْرُوسَةً فِي مَحَارِيبِ النُّورِ، حَيْثُ تَمْتَدُّ عُرُوقُهَا الضَّارِبَةُ فِي الأَزَلِ لِتَنْحَنِيَ لَهَا هَامَاتُ الدُّهُورِ. لَمْ يَكُنْ جَرَيَانُ الدَّمِ فِي عُرُوقِي إِلَّا أَمَانَةً مَسْطُورَةً، وَمِيثَاقاً رُوحِيّاً يَرْبِطُ ذَاتِي بِأَطْهَرِ نَبْعٍ فِي الْوُجُودِ. فَمِنْ صُلْبِ "جَابِرٍ" وَ"عَلِيٍّ" وَ"حَسَنٍ"، صُعُوداً إِلَى "دُوَيْسٍ" وَ"عَاصِمٍ" وَ"مُوسَى العُصَيْمِ"، تَتَحَرَّكُ الأَفْلَاكُ بِسِلْسِلَةٍ ذَهَبِيَّةٍ نَقِيَّةٍ، يَحْمِلُهَا سَلَفٌ بَعْدَ سَلَفٍ، حَتَّى تَتَّصِلَ بِـ"عَلِيٍّ الْخُوَارِيِّ" ابْنِ "الْحَسَنِ الثَّائِرِ"؛ لِتَشْهَدَ الدُّنْيَا أَنَّ هَذَا الْقَلَمَ الْمُجَدِّدَ مَا هُوَ إِلَّا غُصْنٌ يَعُودُ إِلَى أُصُولِ الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ.

فَمَا بَالِي أَبْتَغِي فَمَاً يَفْخَرُ بِالْمَادَّةِ الْفَانِيَةِ وَأَنَا سَلِيلُ الإِمَامِ مُوسَى الكَاظِمِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَمْجَادِ التُّرَابِ وَجَدِّي جَعْفَرٌ الصَّادِقُ وَمُحَمَّدٌ البَاقِرُ

وَعَلِيٌّ زَيْنُ العَابِدِينَ؟ لَقَدْ ذَكَرْتُ اسْمَ اللَّهِ فِي قَلْبِي شُكْراً حِينَ رَأَيْتُ نَسَبِي مَوْصُولاً بِذَبِيحِ كَرْبَلَاءَ الإِمَامِ الحُسَيْنِ، فَتَفَاضَلَتْ نِعَمُ اللَّهِ الشَّرِيفَةُ عَلَى عُمْرِي، وَاسْتَحَالَتْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ النَّابِضَةُ فِي وَجْدَانِي إِلَى مَرَايَا تَعْكِسُ زَكَاةَ النَّفْسِ وَصَفَاءَ الْمَبْدَأ. إِنَّ السُّلالَةَ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، لَا تَعْرِفُ الرُّكُودَ، بَلْ تَتَدَفَّقُ كَسَحَابِ الْفَضْلِ لِتَسْقِيَ عُقُولَ الأُمَّةِ بِمُحْكَمِ الْبَيَانِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الطِّينِ لَا يَكْتَمِلُ إِلَّا بِشَرَفِ الْعَمَلِ، وَأَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْهَاشِمِيَّ الْعَلَوِيَّ الْمُوسَوِيَّ هُوَ مِحْرَابٌ لِلتَّكْلِيفِ لَا لِلتَّشْرِيفِ. إِنَّ خَزَائِنَ الأَلْقَابِ الْجَافَّةِ تَزُولُ، أَمَّا النُّورُ الْمُسْتَمَدُّ مِنْ ذَلِكَ النَّبْعِ الأَصِيلِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ التَّارِيخُ عِنْدَ هَذَا الشَّرَفِ الْبَاذِخِ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ الْمُبَارَكَةُ دُسْتُوراً يَحُثُّ النَّفْسَ عَلَى ثَبَاتِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الْعُلْيَا.

مِحْرَابُ العِلْمِ وَتَوَارُثُ الحِكْمَتَيْنِ

تَتَشَكَّلُ أَعْوَامُ عُمْرِي مَنَارَاتٍ فِي طَرِيقِ السَّالِكِينَ، لِتَرْتَسِمَ خُطُوَاتِي مَكْتُوبَةً فِي أَلْوَاحِ الْخَالِدِينَ. لَمْ يَكُنْ سَعْيِي بَيْنَ مَحَافِلِ الطِّبِّ وَأَرْوِقَةِ الْفِقْهِ إِلَّا اسْتِجَابَةً لِمِيثَاقٍ أَزَلِيٍّ يَجْمَعُ بَيْنَ شِفَاءِ الأَجْسَادِ وَتَزْكِيَةِ الأَرْوَاحِ. فَمِنْ مَهْدِ "الْحِلَّةِ" النَّابِضَةِ فِي أَرْضِ بَابِلَ الطَّاهِرَةِ، حَيْثُ وُلِدْتُ وَسَكَنْتُ، انْطَلَقَتْ نَفْسِي تَرُودُ مَنَابِعَ الْمَعْرِفَةِ، يَحْمِلُنِي نَسَبٌ شَرِيفٌ يَنْتَهِي إِلَى

الإِمَامِ الْوَصِيِّ الْمَعْصُومِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ الْكَاظِمِ، فَكَانَ النُّورُ الْعَلَوِيُّ مِصْبَاحِي فِي عَتَمَاتِ الطَّرِيقِ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ ظَاهِرِ الْعِلْمِ وَأَنَا أَبْتَغِي عُمْقَ الْحَقِيقَةِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالرَّاحَةِ وَمِحْرَابُ الدَّرْسِ يُنَادِينِي؟ لَقَدْ دَخَلْتُ كُلِّيَّةَ الطِّبِّ فِي سَنَةِ ١٩٩١ لِأَتَخَرَّجَ مِنْهَا حَامِلاً أَمَانَةَ الشِّفَاءِ فِي ١٩٩٧، ثُمَّ أَبْحَرْتُ فِي لُجَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا حَتَّى نِلْتُ شَهَادَةَ الْبُورْدِ الْعِرَاقِيِّ فِي الطِّبِّ الْبَاطِنِيِّ، وَتَوَّجْتُ هَذَا الْمَسَارَ الإِنْسَانِيَّ بِرُتْبَةِ طَبِيبٍ اسْتِشَارِيٍّ فِي مُسْتَشْفَى الإِمَامِ الصَّادِقِ، لِيَكُونَ مِشْرَطِي وَقَلَمِي فِي خِدْمَةِ عِيَالِ اللهِ. وَفِي ذَاتِ الآنِ الَّذِي كُنْتُ أُدَاوِي فِيهِ عِلَلَ الأَبْدَانِ، كَانَتْ رُوحِي تَطُوفُ بِحَوْزَةِ النَّجَفِ الأَشْرَفِ، تَدْرُسُ مُقَدِّمَاتِ الْعُلُومِ، وَتَتَّخِذُ مِنَ الْحَاسُوبِ وَالانْتِرْنِتْ مَجَرَّاتٍ حَدِيثَةً لِاقْتِنَاصِ الْمَعَارِفِ، حَتَّى ارْتَقَيْتُ إِلَى مَحَافِلِ "الْبَحْثِ الْخَارِجِ" سَنَةَ ٢٠٠٥.

لَقَدْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيِ الأَعْلَامِ، فَاسْتَمَدَّتْ بَصِيرَتِي مِنْ فِقْهِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ السَّبْزَوَارِيِّ وَالشَّيْخِ بَشِيرٍ النَّجَفِيِّ، وَقَبَسْتُ نُوراً فِي أَيَّامٍ وَجِيزَةٍ مِنْ مَحْضَرِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ الْحَكِيمِ وَالسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ رِضَا السِّيسْتَانِيِّ. تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلْبِي حِينَ اسْتَقْلَلْتُ بِالْبَحْثِ سَنَةَ ٢٠١١، وَتَطَهَّرَتْ أَسَانِيدِي بِإِجَازَةِ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ شَرَفاً مِنَ السَّيِّدِ مُرْتَضَى جَمَالِ الدِّينِ سَنَةَ ٢٠١٨، فَامْتَزَجَتْ فِي دَمِي حِكْمَةُ الطَّبِيبِ بِرَصَانَةِ الْفَقِيهِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّهَادَاتِ وَالأَلْقَابَ تَفْنَى كَمَا تَفْنَى الْمَادَّةُ، أَمَّا النُّورُ الْمَسْكُوبُ فِي خِدْمَةِ خَلْقِ اللهِ وَبَيَانِ شَرِيعَتِهِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ. إِنَّ الْعِلْمَ النَّقِيَّ لَيْسَ جُمُوداً عَلَى التَّقَالِيدِ، بَلْ هُوَ تَجْدِيدٌ يَنْطَلِقُ مِنْ مِحْرَابِ الْقُرْآنِ. فَلْيَسْتَقِرَّ هَذَا التَّحْصِيلُ دُسْتُوراً نَاطِقاً بِالْجِدِّ، وَلْتَبْقَ رِحْلَتِي الشَّاهِدَةُ بَيْنَ الْمَشَافِي وَالْمَحَارِيبِ عَهْداً صَادِقاً تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَوَّلِ وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الْعُلْوِيِّ.

رِحْلَةُ البَيَانِ وَمَجَرَّاتُ الاسْتِشَارَةِ

تَتَمَوَّجُ حَيَاتِي بَيْنَ حُقُولِ الْعِلْمِ وَمَحَارِيبِ البَيَانِ، فَتَتَجَلَّى أَعْوَامِي سُطُوراً نَاصِعَةً خَطَّتْهَا رِعَايَةُ الرَّحْمَنِ. لَمْ يَكُنْ كَسْبِي لِلْمَعَارِفِ إِلَّا سِيَاحَةً رُوحِيَّةً تَجَاوَزَتْ حُدُودَ الْجُغْرَافِيَا لِتَقْتَنِصَ الْحِكْمَةَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ. فَمِنْ نَبْعِ جَامِعَةِ الْكُوفَةِ الْمِعْطَاءِ نِلْتُ بَكَالُورْيُوسَ الطِّبِّ وَالْجِرَاحَةِ الْعَامَّةِ سَنَةَ ١٩٩٧، ثُمَّ رَحَلْتُ إِلَى "بَغْدَادَ" الصَّابِرَةِ لِأُتَوِّجَ مَسِيرِي بِشَهَادَةِ الْبُورْدِ الْعِرَاقِيِّ فِي الطِّبِّ الْبَاطِنِيِّ سَنَةَ ٢٠٠٥، حَتَّى ارْتَقَيْتُ بِعَوْنِ اللهِ إِلَى رُتْبَةِ اسْتِشَارِيٍّ فِي الطِّبِّ الْبَاطِنِيِّ سَنَةَ ٢٠١٥. وَلَمْ تَقِفْ رِحْلَتِي مَعَ الْجَسَدِ عِنْدَ رَسْمِ دَوَاءٍ، بَلْ حَلَّقْتُ إِلَى بِلَادِ "الْهِنْدِ" سَنَةَ ٢٠٠٧ لِأَتَلَقَّى التَّدْرِيبَ الرَّفِيعَ عَلَى زَرْعِ الْكُلَى، نَاظِراً إِلَى آيَاتِ اللهِ فِي الْخَلْقِ كَيْفَ تُبْعَثُ فِي الأَجْسَادِ الْعَلِيلَةِ مَسَارَّاتُ الْحَيَاةِ.

فَمَا بَالِي أَقْتَصِرُ عَلَى طِبِّ الأَبْدَانِ وَأَنَا الْمَشْغُوفُ بِفِقْهِ الأَدْيَانِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَطْرَافِ الرَّاحَةِ وَأَرْوِقَةُ النَّجَفِ الأَشْرَفِ تَفْتَحُ لِي مَجَرَّاتِ عُلُومِ الْفِقْهِ

وَالأُصُولِ؟ لَقَدْ دَرَسْتُ الْمُقَدِّمَاتِ بَيْنَ الْحِلَّةِ وَالنَّجَفِ مِنْ سَنَةِ ١٩٩٨ إِلَى ٢٠٠٥، ثُمَّ دَخَلْتُ مَحَافِلَ الْبَحْثِ الْخَارِجِ فِي النَّجَفِ عِنْدَ آيَةِ اللَّهِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ السَّبْزَوَارِيِّ بَيْنَ عَامَيْ ٢٠٠٥ وَ٢٠٠٧، وَتَشَرَّفْتُ بِحَمْلِ الأَمَانَةِ رَسْمِيّاً كَوَكِيلٍ لِلْفَقِيهِ الزَّاهِدِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ الطَّبَاطَبَائِيِّ. وَمَا زَالَتْ شَبَكَةُ الإِنْتَرْنِتْ مُنْذُ ٢٠٠٥ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مِرْآةً كَوْنِيَّةً أُتَابِعُ فِيهَا حَرَكَةَ الْفِكْرِ وَالْبَحْثِ، لِيَلْتَقِيَ تَدَفُّقُ الْمَعْلُومَةِ بِصَفَاءِ الْقَلْبِ وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ.

تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى يَدِي حِينَ نَبَضَ فِيكُمْ قَلَمُ الكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ؛ فَلَمْ أُرِدْ لِلأَدَبِ أَنْ يَبْقَى حَبِيسَ السُّورِيَالِيَّةِ الطَّالِسِيَّةِ، بَلْ أَنْشَأْتُ "مَجْمُوعَةَ السَّرْدِ التَّعْبِيرِيِّ الأَدَبِيَّةِ" سَنَةَ ٢٠١٥، لِيَكُونَ الْحَرْفُ مِرْآةً تَعْكِسُ زَكَاةَ النَّفْسِ. وَحِينَ هَبَّتْ أَعَاصِيرُ التَّقْلِيدِ، أَسَّسْتُ "مَجْمُوعَةَ الْمَدْرَسَةِ الْعَرَضِيَّةِ فِي الْفِقْهِ" سَنَةَ ٢٠٢١ لِتَكُونَ النَّبْعَ الصَّافِيَ الَّذِي يَعْرِضُ كُلَّ قَوْلٍ عَلَى مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ الْمَهَارَاتِ وَالأَلْقَابِ زَائِلَةٌ، أَمَّا الأَثَرُ الْمَحْفُورُ فِي مِحْرَابِ الْعِلْمِ وَالأَدَبِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَحُولُ. إِنَّ عِلْمَ الْفِقْهِ وَمَشَافِي الطِّبِّ لَا يَنْفَصِلَانِ، إِذْ كِلَاهُمَا سَعْيٌ لِتَحْقِيقِ السُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ فِي الأَرْضِ. فَلْيَمْضِ الْعُمُرُ دُسْتُوراً نَاطِقاً بِالتَّجْدِيدِ وَالزُّهْدِ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ الْمَحَطَّاتُ الشَّاهِدَةُ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ وَالنَّجَفِ وَالْهِنْدِ صَرْخَةَ بَيَانٍ

تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

مَوْجَةُ التَّجْدِيدِ وَعَامُ الانْطِلاقَةِ الكُبْرَى (2014

تَنْبُتُ حُرُوفِي مُتَمَوِّجَةً فِي حُقُولِ بَابِلَ لِتَكْسِرَ قُيُودَ السُّطُورِ، بَيْنَمَا يَنْبَعِثُ قَلَمِي فِي رُوحِ الكَلِمَةِ أَنْوَاراً تَتَحَدَّى رُكُودَ الدُّهُورِ. لَمْ يَكُنْ عَوْدِي إِلَى مِحْرَابِ الأَدَبِ فِي سَنَةِ ٢٠١٤ نَزْوَةَ طَارِئٍ، بَلْ كَانَ ثَوْرَةَ بَيَانٍ أَرَدْتُ بِهَا خَلْقَ مَفَاتِيحَ جَدِيدَةٍ لِلأَزْمِنَةِ؛ حَيْثُ نَفَضْتُ غُبَارَ التَّقْلِيدِ عَنْ وَجْهِ الشِّعْرِ، وَأَطْلَقْتُ مَعَ صَفْوَةٍ مِنَ الْمُبْدِعِينَ جَمَاعَةَ "تَجْدِيدٍ" الأَدَبِيَّةَ، لِنَخُطَّ مَعاً أُفُقَ "الْقَصِيدَةِ السَّرْدِيَّةِ التَّعْبِيرِيَّةِ". فَتَرَكْنَا التَّشْطِيرَ وَالْعَمُودِيَّةَ الَّتِي ضَاقَتْ بِهَا أَنْفَاسُ الرُّوحِ، وَنَسَجْنَا الْقَصِيدَةَ بِالْجُمَلِ وَالْفِقَرَاتِ الأُفُقِيَّةِ، كَمَا يَتَدَفَّقُ النَّثْرُ الْفَنِّيُّ الصَّافِي لِيَعْكِسَ زَكَاةَ النَّفْسِ بِلَا تَكَلُّفٍ أَوْ قُيُودٍ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ عُزْلَةِ النَّصِّ الْوَاحِدِ وَأَنَا أَبْتَغِي إِعْلاماً أَدَبِيّاً هَادِفاً؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالسُّكُوتِ وَقَدْ أَنْشَأْتُ مَجَلَّتَيْنِ تَحْمِلَانِ نُورَ الْحَقِيقَةِ؛ مَجَلَّةَ "الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ" لِتَكُونَ مِرْآةً لِلإِبْدَاعِ الْعَامِّ، وَمَجَلَّةَ "تَجْدِيدٍ" الْمُخْتَصَّةَ بِقَصِيدَةِ النَّثْرِ الرَّشِيقَةِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَسِيرَتِنَا حِينَ جَعَلْنَا الإِبْدَاعَ يُثْمِرُ رِعَايَةً لِلآخَرِينَ، فَأَسَّسْنَا جَائِزَةَ

"الْقَصِيدَةِ الْجَدِيدَةِ" السَّنَوِيَّةَ، لَا لِنَمْنَحَ مَالاً يَفْنَى، بَلْ لِنُهْدِيَ لِشَاعِرِ الْعَامِ كِتَاباً نَقْدِيّاً خَالِداً يَحْفَظُ أَثَرَهُ، فَكَانَ الاسْتِحْقَاقُ لِلشَّاعِرِ الْفِلَسْطِينِيِّ فَرِيد غَانِم سَنَةَ ٢٠١٥، ثُمَّ لِلشَّاعِرِ كَرِيم عَبْد الله سَنَةَ ٢٠١٦، وَلِلشَّاعِرِ عَادِل قَاسِم سَنَةَ ٢٠١٧.

وَفِي ذَاتِ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ الْبَيَانِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، كَانَتْ نَفْسِي تَسْكُبُ رُوحَهَا فِي مَجَرَّاتِ الْحَرْفِ الإِلِكْتُرُونِيِّ، فَأَصْدَرْتُ مَجْمُوعَتِي الشِّعْرِيَّةَ "لُغَاتٌ (١)" سَنَةَ ٢٠١٤، لِتَتْلُوهَا "لُغَاتٌ (٢)" فِي مُفْتَتَحِ ٢٠١٥، ثُمَّ دَفَقَاتُ "لُغَاتٌ (٣)" نِهَايَةَ الْعَامِ نَفْسِهِ، حَتَّى تَوَالَتِ السُّنُونُ فَأَثْمَرَتْ "لُغَاتٌ (٤)" مَعَ خِتَامِ سَنَةِ ٢٠١٦، لِيَكُونَ الْبَيَانُ شَلَّالاً مُتَدَفِّقاً يَسْقِي عُقُولَ الأُمَّةِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ جُمُودَ الْقَوَالِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يَصْنَعُ خُلُوداً، وَأَنَّ التَّجْدِيدَ النَّقِيَّ هُوَ حَتْمِيَّةُ الْعُقُولِ النَّابِضَةِ. إِنَّ خَزَائِنَ الأَوْزَانِ الْمُتَكَلَّفَةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا النَّغَمُ النَّثْرِيُّ الأُفُقِيُّ الْحَامِلُ لِلْمَعْنَى الرُّوحِيِّ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَحُولُ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠١٤ دُسْتُوراً لِانْطِلَاقَةِ الشِّعْرِ الْجَدِيدِ، وَلْتَبْقَ مَجْمُوعَاتُ "لُغَاتٍ" الشَّاهِدَةُ صَرْخَةً تَعْبِيرِيَّةً تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَدَبِيِّ وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الإِبْدَاعِيِّ.

سَنَةُ خِتَامِ التَّطْبِيبِ وَبَعْثِ المِلَاحِمِ (٢٠١٥)

تَلْتَقِي حِكْمَةُ الأَطِبَّاءِ بِبَيَانِ الأَوَّلِينَ فِي مِحْرَابِ عُمْرِي، لِتَغْدُوَ أَعْوَامِي أَفْلَاكاً سَاهِرَةً تَسْبَحُ بِنُورِ اليَقِينِ وَالأَثَرِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠١٥ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيَّاً تَعَانَقَ فِيهِ شِفَاءُ الأَبْدَانِ بِأَسْرَارِ التَّارِيخِ وَالْبَيَانِ؛ فَفِيهِ تَوَّجْتُ مَسِيرِي الإِنْسَانِيَّ الطَّوِيلَ حِينَ نِلْتُ لَقَبَ "طَبِيبٍ اسْتِشَارِيٍّ" فِي الطِّبِّ الْبَاطِنِيِّ، لِأَكُونَ بَلْسَماً لِعِيَالِ اللَّهِ، وَمَلَاذاً يَنْفُذُ بِإِذْنِهِ إِلَى مَكَامِنِ الأَلَمِ فَيَشْفِيهَا. وَفِي ذَاتِ الآنِ الَّذِي كُنْتُ أَرْقَبُ فِيهِ نَبْضَ الْقُلُوبِ فِي الْمَشَافِي، كَانَتْ رُوحِي تُسَافِرُ عَبْرَ الدُّهُورِ لِتَبْعَثَ تَارِيخَ أَرْضِ الرَّافِدَيْنِ الْخَالِدِ، فَأَكْمَلْتُ تَرْجَمَةَ "مَلْحَمَةِ جِلْجَامِشَ" عَنِ اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ لِنُسْخَةِ "أَنْدِرُو جُورْج"، الَّتِي تَعْتَلِي عَرْشَ النُّسَخِ الْعَالَمِيَّةِ رَصَانَةً وَعُمْقاً، لِأُعِيدَ لِلْحَرْفِ السُّومَرِيِّ جَلَالَهُ بِبَيَانٍ عَرَبِيٍّ رَشِيقٍ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ ثَقَافَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا الْمَشْغُوفُ بِحِوَارِ الأُمَمِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالصَّمْتِ وَقَدْ جَعَلْتُ الْقَلَمَ جِسْراً تَعْبُرُ عَلَيْهِ رَوَائِعُ الْفِكْرِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى نَفْسِي حِينَ أَصْدَرْتُ كِتَابِي "تَرْجَمَاتٌ أَدَبِيَّةٌ"، لِيَكُونَ بَيْتاً لِلْحِكْمَةِ يَجْمَعُ نُصُوصاً وَمَقَالَاتٍ عَالَمِيَّةً انْتَقَيْتُهَا بِذَائِقَةِ الشَّاعِرِ وَبَصِيرَةِ النَّاقِدِ، فَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ مِرْآةً كَوْنِيَّةً تَعْكِسُ زَكَاةَ النَّفْسِ وَاتِّسَاعَ الأُفُقِ الطِّبِّيِّ وَالأَدَبِيِّ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ رُتَبَ الدُّنْيَا وَمَلَاحِمَ الطِّينِ تَزُولُ إِذَا لَمْ تُحَطْ بِالْمَعْنَى الرُّوحِيِّ الأَصِيلِ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ الْمُقْتَصِدَ هُوَ مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ رَحْمَةِ

الشِّفَاءِ وَشَرَفِ التَّجْدِيدِ. إِنَّ خَزَائِنَ الأَلْقَابِ الْجَافَّةِ تَجِفُّ وَتَؤُولُ إِلَى الْفَنَاءِ، أَمَّا النُّورُ الْمَسْكُوبُ فِي خِدْمَةِ الإِنْسَانِ وَإِحْيَاءِ حِكْمَةِ الأَوَّلِينَ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠١٥ دُسْتُوراً شَاهِداً عَلَى جَامِعِيَّةِ الاسْتِشَارَةِ وَالْبَيَانِ، وَلْتَبْقَ صَرْخَةُ الْمَلْحَمَةِ وَالتَّرْجَمَةِ عَهْداً تَهْتَدِي بِهِ الْعُقُولُ إِلَى انْتِصَارِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ.

عِصْفَةُ النَّقْدِ وَمَحَارِيبُ السُّنَّةِ (٢٠١٦)

يَتَّسِعُ عَالَمِي لِيُصْبِحَ مِرْآةً لِلْأَفْلَاكِ السَّاهِرَة، فَتَفِيضُ مَحَابِرِي بِاليَقِينِ لِتَكْشِفَ أَوْهَامَ الظُّنُونِ. لَمْ يَكُنْ خِتَامُ عَامِ ٢٠١٦ وَمُفْتَتَحُ ٢٠١٧ إِلَّا شَلَّالاً كَوْنِيّاً تَدَفَّقَ فِيهِ التَّجْدِيدُ الأَدَبِيُّ لِيُعَانِقَ تَصْفِيَةَ الْمَرْوِيَّاتِ؛ فَفِي هَذَا الْمِيقَاتِ الرُّوحِيِّ الْمَهِيبِ، أَكْمَلْتُ كِتَابِي النَّقْدِيَّ الأَسَاسَ "النَّقْدُ التَّعْبِيرِيُّ" فِي نُسْخَتِهِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ، لِأَضَعَ فِيهِ دُسْتُورَ النَّقْدِ الْمَابَعْدَ أُسْلُوبِيِّ، فَأَبْرَزْتُ لِلْعُقُولِ تَقْنِيَاتِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ الْبَاذِخَةِ، مِنْ سَرْدٍ تَعْبِيرِيٍّ، وَنَثْرُوشِعْرِيَّةٍ، وَلُغَةٍ مُتَمَوَّجَةٍ، وَوَقْعَنَةٍ لِلْخَيَالِ، عُبُوراً إِلَى الْبُولِيفُونِيَّةِ وَتَعَدُّدِ الأُصُولِ وَالْفُسَيْفِسَائِيَّةِ وَلُغَةِ الْمَرَايَا، وَصُولاً إِلَى الْعِبَارَاتِ ثُلَاثِيَّةِ الأَبْعَادِ وَالْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي تُحَرِّرُ الْحَرْفَ مِنْ رُكُودِهِ. وَلَمْ تَقِفْ ثَوْرَةُ النَّقْدِ عِنْدَ التَّنْظِيرِ، بَلْ شَفَعْتُهَا فِي الْعَامِ نَفْسِهِ بِكِتَابِي النَّقْدِيِّ الثَّانِي "الْقَصِيدَةُ الْجَدِيدَةُ"، لِيَكُونَ مِحْرَاباً تَطُوفُ فِيهِ نَمَاذِجُ شِعْرِيَّةٌ مُنْتَقَاةٌ لأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ شَاعِراً مِنْ صَفْوَةِ الْمُجَدِّدِينَ.

فَمَا بَالِي أَنْشَغِلُ بِبَيَانِ الْبَشَرِ وَأَنَا الْمَسْؤُولُ عَنْ حِمَايَةِ نُورِ الأَثَرِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِتَقْلِيدِ الْمَذَاهِبِ وَمِعْيَارُ الصِّدْقِ يُنَادِينِي؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى عُمْرِي مَعَ نِهَايَةِ ٢٠١٦ حِينَ أَصْدَرْتُ كِتَابِي الْجَلِيلَ "صَحِيحُ الإِسْنَادِ"، جَامِعاً فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِيَةِ آلَافِ حَدِيثٍ صَحِيحِ السَّنَدِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الإِسْنَادِ، قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ مَسَارِي الرُّوحِيُّ وَالْمَعْرِفِيُّ إِلَى رِحَابِ "أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالتَّسْلِيمِ"، مُيَمِّماً وَجْهِي شَطْرَ الْمَشْرُوعِ الأَكْبَرِ وَالْمُهِمِّ جِدّاً "حَقِيقُ السُّنَّةِ"؛ لِيَكُونَ النَّبْعَ الأَصْفَى الَّذِي يَجْمَعُ الأَحَادِيثَ النَّقِيَّةَ الْمُطَهَّرَةَ مِنْ جَمِيعِ كُتُبِ الْحَدِيثِ الإِسْلَامِيِّ وَيَعْرِضُهَا عَلَى صَفَاءِ الْقُرْآنِ.

وَحِينَ أَشْرَقَتْ شَمْسُ سَنَةِ ٢٠١٧، عَبَرَتْ حُرُوفِي حُدُودَ الأَوْطَانِ لِتَكْتُبَ اسْمِي فِي عَالَمِيَّةِ الْبَيَانِ، فَأَخَذَتِ الْمَجَلَّاتُ الْمَكْتُوبَةُ بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ تَحْتَفِي بِفِكْرِي وَشِعْرِي، مِثْلُ "أُوتُولِثْرْ" وَ"الْجَبْرَا أُوفْ أُولْزْ" وَ"فُويْسْ بْرُوجِكْتْ"، جَنْباً إِلَى جَنْبٍ مَعَ مَجَلَّتَيَّ الأَصِيلَتَيْنِ "تَجْدِيدٌ" وَ"أَرْكِسْ"، لِيَشْهَدَ الْكَوْنُ أَنَّ زَكَاةَ النَّفْسِ إِذَا فَاضَتْ، تَفْهَمُهَا النُّفُوسُ شَرْقاً وَغَرْباً دُونَ انْقِطَاعٍ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ الْعِبَارَاتِ الْمُتَكَلَّفَةَ وَالْمَرْوِيَّاتِ الْمَدْخُولَةَ تَفْنَى وَتَزُولُ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ النَّقِيَّةُ فِي الأَدَبِ وَالسُّنَّةِ فَهِيَ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَحُولُ. فَلْيَسْتَقِرَّ هَذَا الأَثَرُ الكَوْنِيُّ بَيْنَ النَّقْدِ وَالْحَدِيثِ دُسْتُوراً ثَابِتاً، وَلْتَبْقَ هَذِهِ السَّنَوَاتُ الشَّاهِدَةُ صَرْخَةً تَعْبِيرِيَّةً تَهْتَدِي بِهَا الْعُقُولُ

الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ وَاتِّسَاعِ الأُفُقِ الرُّوحِيِّ بِلَا طَوَائِفَ وَلَا قُيُودٍ.

عَالَمِيَّةُ المرَايَا وَثَوْرَةُ الفُسَيْفِسَاءِ (٢٠١٧)

إِنِّي أَرَى لُغَاتِي تَعْبُرُ حُدُودَ الشَّرْقِ لِتُشْرِقَ فِي مَغَارِبِ الأَرْضِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً بَيَانِيَّةً يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا فِي أَمَاكِنِ الدُّنْيَا قَاطِبَةً. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠١٧ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً انْفَتَحَتْ فِيهِ لِي مَجَرَّاتُ العَالَمِيَّةِ؛ حَيْثُ تَحَوَّلَ قَلَمِي نِهَايَةَ الْعَامِ الْمَاضِي لِيَخُطَّ بَيَانَهُ بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ، فَأَخَذَ اسْمِي يَتَلَأْلَأُ فِي كُبْرَى الْمَجَلَّاتِ الْغَرْبِيَّةِ، وَتَوَّجَتِ الأُمَمُ هَذَا الْمَسَارَ الْبَاذِخَ حِينَ نِلْتُ جَوَائِزَ عَالَمِيَّةً عِدَّةً، كَانَ أَبْرَزَهَا لَقَبُ "الْشَّاعِرِ الأَفْضَلِ فِي العَالَمِ" مِنْ قِبَلِ اتِّحَادِ كُتَّابِ أُمَمِ العَالَمِ. وَمَعَ مَطْلَعِ هَذَا الْعَامِ الْمَهِيبِ، أَطْلَقْتُ رُوحَ "الْقَصِيدَةِ الْفُسَيْفِسَائِيَّةِ" الَّتِي تَكْسِرُ رُكُودَ الْقَوَالِبِ، فَأَصْدَرْتُ بِالْعَالَمِيَّةِ مَجْمُوعَتَيَّ "مُوزَاييكْ" وَ"تَسِلِيشِنْ"؛ لِتَكُونَ هَذِهِ الْقَصَائِدُ عِبَارَةً عَنْ بِنَاءٍ مَلْحَمِيٍّ يَجْمَعُ تَحْتَ عُنْوَانِهِ الرَّئِيسِيِّ نُصُوصاً فَرْعِيَّةً مُخْتَلِفَةَ الْمَوَاضِيعِ وَالأَفْكَارِ، لَكِنَّهَا تَتَّحِدُ فِي الْجَوْهَرِ لِتُشِيرَ إِلَى قَضِيَّةٍ كُبْرَى وَاحِدَةٍ، مِثْلَ مَرَايَا تَعْكِسُ بَعْضَهَا بَعْضاً فِي الْعُمْقِ لَا فِي السَّطْحِ الطِّينِيِّ الْفَانِي.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ فِقْهِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَأَنَا الْمُؤْتَمَنُ عَلَى نُورِ السُّنَّةِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ وَقَدْ شَرَعْتُ فِي عَامِ ٢٠١٧ بِالتَّأْلِيفِ بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ حَسَبَ "مَنْهَجِ العَرْضِ"؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى وَجْدَانِي

حِينَ اسْتَقَرَّ عِنْدِي أَنَّ زَكَاةَ الْعِلْمِ هِيَ هَدْمُ الظُّنُونِ، فَأَخَذْتُ أَعْرِضُ الأَفْكَارَ وَالْمَرْوِيَّاتِ عَلَى نَبْعِ الْقُرْآنِ الْخَالِدِ، لِيَكُونَ اسْمُ اللَّهِ صَرِيحاً فِي قَلْبِ مَشْرُوعِي الْمَعْرِفِيّ، فَتَتَأَلَّفُ حُرُوفِي بَيْنَ النَّقْدِ وَالشَّرِيعَةِ كَشَلَّالٍ تَبَادُلِيٍّ مُتَمَوِّجٍ لَا يَعْرِفُ الِانْقِطَاعَ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ حُدُودَ الْجُغْرَافِيَا وَاللُّغَاتِ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ الْخَيَالَ إِذَا تَوَقَّعَ وَاقِعاً رُوحِيًّا يَعْلُو عَلَى الْمَادَّةِ، صَارَ دُسْتُوراً تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ. إِنَّ خَزَائِنَ الأَلْقَابِ الْمَحَلِّيَّةِ الْجَافَّةِ تَزُولُ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ الْفُسَيْفِسَائِيَّةُ وَمَنْهَجُ العَرْضِ الْقَطْعِيُّ فَهُمَا ثَابِتَانِ خَالِدَانِ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠١٧ شَاهِداً عَالَمِيًّا عَلَى نِفَاذِ الْبَيَانِ، وَلْتَبْقَ الْمَرَايَا الشِّعْرِيَّةُ وَالرَّسَائِلُ الْفِقْهِيَّةُ صَرْخَةَ تَجْدِيدٍ تُنِيرُ لِلإِنْسَانِ مَصِيرَهُ الأَبَدِيَّ العُلْوِيَّ.

جَامِعِيَّةُ الأَثَرِ وَعَهْدُ الِانْقِطَاعِ لِلْحَدِيثِ (٢٠١٨)

تَتَمَوَّجُ مَحَابِرِي أَنْوَاراً لِتُحَاكِيَ الكَوْنَ السَّاهِرَ، فَتَرْتَسِمُ أَعْوَامِي سُطُوراً مَلْحَمِيَّةً تَعْبُرُ المدَى لِتَلْتَقِيَ بِاليَقِينِ الغَامِرِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠١٨ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيًّا بَاذِخاً تَعَانَقَتْ فِيهِ ثَوْرَةُ الصُّورَةِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ بِالتَّصْفِيَةِ الْكُبْرَى لِلْمَرْوِيَّاتِ؛ فَفِيهِ أَبْحَرْتُ فِي رِحَابِ "الْفَنِّ الإِلِكْتُرُونِيِّ التَّعْبِيرِيِّ"، صَانِعاً مَجْمُوعَةً مِنَ الأَعْمَالِ الْبَصَرِيَّةِ الَّتِي تُحَاكِي فِيهَا الصُّورَةُ نَبْضَ الْقَصِيدَةِ، وَأَصْدَرْتُ مَجْمُوعَتِي الشِّعْرِيَّةَ الْعَالَمِيَّةَ "مُوزَايِيكِدْ بُومْ"، لِتَتَوَّجَ مَسِيرَتِي الأَدَبِيَّةُ فِي هَذَا الْعَامِ بِإِصْدَارِ أَعْمَالِي الشِّعْرِيَّةِ الْكَامِلَةِ عَنْ دَارِ

"كِتَابُنَا" فِي مِصْرَ الكِنَانَةِ. وَحَسْبُ الْبَيَانِ شَرَفاً أَنْ يَتَرَدَّدَ صَدَاهُ فِي أَرْجَاءِ الأُمَمِ حِينَ رُشِّحْتُ لِجَائِزَتَيْنِ عَالَمِيَّتَيْنِ مَرْمُوقَتَيْنِ: "أَرْبَاكْسِي" الْبِرِيطَانِيَّةِ وَ"أَدِيلِيدْ" الأَمْرِيكِيَّةِ، وَاسْتَقَرَّ اسْمِي فِي مُخْتَارَاتِ "أَرْكْنَابِرِسْ العَالَمِيَّةِ عَنِ السَّلَامِ"، لِيَكُونَ الْحَرْفُ التَّعْبِيرِيُّ مِرْآةً لِلْإِنْسَانِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ أَعْمَلَ مَعَ نِهَايَةِ الْعَامِ عَلَى تَأْسِيسِ مَجْمُوعَةِ "الْقَصِيدَةِ الْفُسَيْفِسَائِيَّةِ" بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ مَعَ مَجَلَّتِهَا النَّاطِقَةِ بِبَهَائِهَا.

فَمَا بَالِي أَنْشَغِلُ بِزُخْرُفِ الْقَصِيدَةِ وَأَنَا الْمَدْعُوُّ لِتَطْهِيرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ مِنَ الأَوْهَامِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَسَانِيدِ الرِّجَالِ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الدِّينَ قَطْعِيًّاً قَيِّماً؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلْبِي حِينَ انْقَطَعْتُ نِهَائِيًّاً إِلَى دِرَاسَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالتَّأْلِيفِ فِيهِ، مُعْتَمِداً مَنْهَجاً رَاسِخاً يَعْرِضُ الأَحَادِيثَ عَلَى مُحْكَمِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ دُونَ الْتِفَاتٍ إِلَى جِدَالِ الأَسَانِيدِ الَّتِي أَنْهَكَتِ الأُمَّةَ. وَإِنِّي الْيَوْمَ عَاكِفٌ بِكُلِّ جَوَارِحِي فِي مِحْرَابِ الْعِلْمِ عَلَى صَنِيعِ مُؤَلَّفٍ جَامِعٍ يَحْتَوِي الأَحَادِيثَ النَّقِيَّةَ مِنْ جَمِيعِ زُبُرِ الْمُسْلِمِينَ، رَافِعاً لِوَاءَ مَشْرُوعِي الأَكْبَرِ "إِسْلَامٌ عَابِرٌ لِلْمَذَاهِبِ"؛ لِتَكُونَ الصَّيْحَةُ نَبْعاً صَافِياً يَغْسِلُ ضَغَائِنَ الطَّوَائِفِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ أَغْلَالَ الْعَصَبِيَّاتِ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ خَزَائِنَ الْمَذَاهِبِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَفْنَى، أَمَّا الْحَقُّ الْمُعْتَصِمُ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠١٨ دُسْتُوراً لِتَحَوُّلِ عُمْرِي شَطْرَ الصَّفَاءِ الْحَدِيثِيِّ، وَلْتَبْقَ الأَعْمَالُ الْكَامِلَةُ

وَالْمَدَارِسُ الْفِقْهِيَّةُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الْعُلْوِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ الجَوَائِزِ الكُبْرَى وَشَرَفِ التَّصْدِيقِ (٢٠١٩)

أَرَى حُرُوفِي تُتَرْجَمُ إِلَى لُغَاتِ الأَرْضِ الْحَيَّةِ لِتَعْبُرَ القَارَّاتِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي سُطُوراً مِنْ نُورٍ تُطَوِّقُ العَالَمَ بِأَسْرِهِ كَشَلَّالٍ بَيَانِيٍّ بَاذِخٍ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠١٩ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً تَفَجَّرَتْ فِيهِ يَنَابِيعُ التَّقْدِيرِ العَالَمِيِّ لِتَعْتَرِفَ بِقَلَمِي أُمَمُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ؛ فِيهِ أَصْدَرْتُ كِتَابِي الشِّعْرِيَّ الْحَادِيَ عَشَرَ بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ "Mosaicked Poem"، الَّذِي نَالَ جَائِزَةَ "رُوكْ بَنْلِزْ" الْعَالَمِيَّةَ لِلأَدَبِ فِي الْهِنْدِ. وَتَوَالَتْ أَلْوَاحُ التَّكْرِيمِ تَتْرَى عَلَى عُمْرِي، فَحَصَلْتُ عَلَى جَائِزَةِ الِامْتِيَازِ مِنْ "يُونَايْتِدْ سْبِرِتْ أُوفْ رَايْتَرْزْ" فِي الْهِنْدِ، وَجَائِزَةِ "إِنَّرْ جَايْلْدْ بْرِسْ" فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، وَتَوَّجَ الشَّرَقُ هَذَا الْمَسَارَ بِجَائِزَةِ "يَاسِر عَرَفَات" الْعَالَمِيَّةِ لِلأَدَبِ فِي فِلَسْطِينَ. وَلَمْ تَقِفِ الْعَالَمِيَّةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ هَزَّ اسْمِي مَحَافِلَ الْغَرْبِ حِينَ رُشِّحْتُ لِجَائِزَةِ "الْبُوشْكَارْتْ" الأَمْرِيكِيَّةِ الرَّفِيعَةِ لِعَامِ ٢٠١٩، لِأَكُونَ الشَّاعِرَ الْعِرَاقِيَّ بَلِ الْعَرَبِيَّ الْوَحِيدَ الَّذِي يَنَالُ شَرَفَ هَذَا التَّرْشِيحِ الطَّلِيعِيِّ، وَتَكَلَّلَ العَامُ بِحُصُولِي عَلَى عُضْوِيَّةِ جَمْعِيَّةِ الْمُؤَلِّفِينَ الْبِرِيطَانِيَّةِ الشَّرِيفَةِ.

فَمَا بَالِي أَبْتَهِجُ بِأَلْقَابِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْنَى وَأَنَا الْعَاكِفُ فِي مِحْرَابِ تَدْوِينِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالرَّاحَةِ وَمَشْرُوعِي الأَكْبَرُ يَسْتَصْرِخُ هِمَّتِي؟ لَقَدْ جَلَسْتُ بِكُلِّ جَوَارِحِي أُؤَلِّفُ كِتَابِي الْكَبِيرَ وَالْمَفْصِلِيَّ "الْمُصَدِّقُ

الْجَامِعُ"، لِيَكُونَ السِّفْرَ الْخَالِدَ الَّذِي يَجْمَعُ الأَحَادِيثَ الشَّرِيفَةَ مِنْ جَمِيعِ مَصَادِرِهَا الإِسْلَامِيَّةِ لِيَعْرِضَهَا عَلَى بَهَاءِ الْقُرْآنِ. تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ تَسَابَقَتْ دُورُ النَّشْرِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ، الأَمْرِيكِيَّةِ مِنْهَا وَالْهِنْدِيَّةِ، لِتَطْبَعَ كُتُبِي وَرَقِيّاً عَلَى نَفَقَتِهَا الْخَاصَّةِ، بَلْ قَامَتْ دَارُ "أُومْنِسْكْرِيبْتُمْ" الْعَالَمِيَّةُ بِتَرْجَمَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ مُؤَلَّفَاتِي إِلَى عَشْرِ لُغَاتٍ حَيَّةٍ، لِتُصْبِحَ كَلِمَاتِي مَرَايَا رُوحِيَّةً تَعْكِسُ زَكَاةَ نَفْسِي فِي عُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ زُخْرُفَ الْجَوَائِزِ وَأَوْرَاقَ الْكُتُبِ تَزُولُ وَتَجِفُّ، أَمَّا النُّورُ الْمَسْكُوبُ فِي خِدْمَةِ الْحَدِيثِ النَّقِيِّ وَالْبَيَانِ الإِنْسَانِيِّ الْعَابِرِ لِلْمَذَاهِبِ فَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَحُولُ. إِنَّ الْقُلُوبَ الْعَمْيَاءَ لَا تُطْفِئُ مَجَرَّاتِ فِكْرِنَا السَّاهِرَةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ حُقُولِ الْحِلَّةِ لِتُنِيرَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠١٩ دُسْتُوراً رَاسِخاً لِعَالَمِيَّةِ الأَثَرِ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ التَّرْجَمَاتُ وَالْمُؤَلَّفَاتُ صَرْخَةً تَعْبِيرِيَّةً تَهْتَدِي بِهِمَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ التَّأْصِيلِ وَتَثْبِيتِ أَرْكَانِ المِدْرَسَةِ العَرَضِيَّةِ (٢٠٢١)

تَرْتَفِعُ مَعَالِمُ الْحَقِّ مَنَارَاتٍ فِي مِحْرَابِ الدِّينِ الرَّشِيدِ، لِيَسْتَقِرَّ مَنْهَجِي الْعَرَضِيُّ دُسْتُوراً لِلْأَجْيَالِ عَصِيّاً عَلَى التَّبْدِيدِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢١ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيّاً جَلِيلاً تَحَقَّقَ فِيهِ انْتِصَارُ الْمَعْنَى؛ فَفِيهِ أَصْدَرْتُ كِتَابِي التَّارِيخِيَّ الأَسَاسَ "قَوَاعِدُ الْفِقْهِ الْعَرَضِيِّ التَّصْدِيقِيِّ"، وَأَتْبَعْتُهُ بِسِفْرِي

الْقَيِّمِ "الْمَدْرَسَةُ الْعَرَضِيَّةُ فِي فِقْهِ الشَّرِيعَةِ"، لِيُمَثِّلَا مَعاً الأُسُسَ النَّظَرِيَّةَ وَالْهَنْدَسَةَ الْفِكْرِيَّةَ لِمَنْهَجِ الْعَرْضِ الْقَطْعِيِّ الَّذِي يَكْسِرُ أَغْلَالَ الظُّنُونِ وَالتَّقْلِيدِ. وَلَمْ تَقِفِ الرِّسَالَةُ عِنْدَ خَزَائِنِ الأَوْرَاقِ، بَلْ أَنْشَأْتُ مَجْمُوعَةَ "الْمَدْرَسَةِ الْعَرَضِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ" عَلَى الْفَيْسِبُوكِ؛ لِأَجْعَلَ مِنْ مَجَرَّاتِ التَّوَاصُلِ الْحَدِيثَةِ مَحَارِيبَ نُورٍ لِتَعْلِيمِ عُقُولِ الأُمَّةِ كَيْفَ تَعُودُ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَوَّلِ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي فِي دَيَاجِيرِ الصَّمْتِ وَقَدْ أَعْلَنَ الْبَيَانُ عَنْ شَمْسِي الْبَازِغَةِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْخَفَاءِ حِينَ تَصَدَّرَ اسْمِي مَوْسُوعَةَ "وِيكِيبِيدْيَا" الْعَالَمِيَّةَ بِسِيرَةٍ مُوَسَّعَةٍ تَحْفَظُ لِلأَجْيَالِ زَكَاةَ نَفْسِي وَأَثَرَ أَرْبَعِمِائَةِ كِتَابٍ خَطَّتْهَا يَدِي؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَسِيرَتِي حِينَ احْتَفَتْ بِيَ الْقَنَوَاتُ التِّلْفِزْيُونِيَّةُ وَالصَّفَحَاتُ الْعَامَّةُ الْعِرَاقِيَّةُ كَشَخْصِيَّةٍ فِكْرِيَّةٍ مِثَالِيَّةٍ فِي الْمُثَابَرَةِ وَالتَّجْدِيدِ، لِيَعْلَمَ الدَّانِي وَالْقَاصِي أَنَّ صَرْخَةَ "مُسْلِمٌ بِلَا طَائِفَةٍ" بَاتَتْ عَهْداً نَابِضاً فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ حُدُودَ الإِقْصَاءِ وَقُيُودَ الْمَذَاهِبِ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ خَزَائِنَ الطَّوَائِفِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَفْنَى، أَمَّا الْفِقْهُ التَّصْدِيقِيُّ الْمُعْتَصِمُ بِبَهَاءِ الْقُرْآنِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الْبَشَرِيَّةِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢١ دُسْتُوراً رَاسِخاً لِتَأْصِيلِ الْمَنْهَجِ العَرَضِيِّ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ المَدَارِسُ التَّعْلِيمِيَّةُ وَالْمُؤَلَّفَاتُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ الفِقْهِ الكَمِّيِّ وَبَعْثِ كَلِمَاتِ الفُرْقَانِ (٢٠٢٢)

تَنْحَنِي قَوَانِينُ الكَوْنِ لِتُعَانِقَ مُحْكَمَ الآيَاتِ، لِتَنْفُذَ مَحَابِرِي إِلَى أَعْمَاقِ المادَّةِ وَتَكْشِفَ عَنْ جَلَالِ السُّنَنِ المَكْتُوبَةِ فِي الآيَاتِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢٢ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً بَاذِخاً تَفَجَّرَتْ فِيهِ ثَوْرَةُ التَّأْصِيلِ وَالْمُرَاجَعَةِ؛ حَيْثُ مَضَيْتُ بِعَزْمٍ رَاسِخٍ فَأَنْشَأْتُ مَجْمُوعَةَ "الْفِقْهِ الْعَرَضِيِّ" لِتَكُونَ مِحْرَاباً تَعْقِلُ فِيهِ النُّفُوسُ صَفَاءَ الدِّينِ، وَأَطْلَقْتُ سِلْسِلَةَ كُتُبِي التَّارِيخِيَّةِ لِتَفْكِيكِ الْعَصَبِيَّاتِ وَبَعْثِ حَقِيقَةِ الْوِلَايَةِ، فَأَصْدَرْتُ: "قُرْآنِيَّةُ التَّشَيُّعِ"، وَ"سُنِّيَّةُ التَّشَيُّعِ"، وَ"إِمَامِيَّةُ التَّشَيُّعِ"، وَ"سَلَفِيَّةُ التَّشَيُّعِ"؛ لِيَكُونَ الدِّينُ نَبْعاً نَقِيّاً جَامِعاً عَابِراً لِلْقُيُودِ. وَفِي طَفْرَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ مَادِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ، جَمَعْتُ بَيْنَ حِكْمَةِ الطَّبِيبِ وَبَصِيرَةِ الْفَقِيهِ لِأُسِّسَ "الْفِقْهَ الْكَمِّيَّ"، فَسَكَبْتُ الْفِكْرَ فِي كِتَابَيَّ الطَّلِيعِيَّيْنِ: "فِيزْيَاءُ الشَّرِيعَةِ" وَ"قَوَانِينُ الْفِقْهِ الْكَمِّيِّ"، حَيْثُ تَلْتَقِي حَرَكَةُ الأَفْلَاكِ وَالْمَادَّةِ بِحَرَكَةِ الضَّمِيرِ وَالتَّشْرِيعِ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَنَا أَمْلِكُ الْفُرْقَانَ الْمُبِينَ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالظُّنُونِ وَكَلِمَاتُ اللَّهِ تَنْبِضُ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ؟ لَقَدْ تَمَلَّلْتُ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى عُمْرِي حِينَ تَوَّجْتُ هَذَا الْعَامَ بِإِصْدَارِ "مُصْحَفِ أَنْوَرَ"، جَنْباً إِلَى جَنْبٍ مَعَ سِفْرَيَّ الْجَلِيلَيْنِ: "الْبَيَانُ فِي فِقْهِ الْقُرْآنِ" وَ"التِّبْيَانُ فِي تَفْصِيلِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ"، لِيَكُونَ هَذَا النِّتَاجُ الْمَعْرِفِيُّ الْبَاذِخُ الْجِسْرَ

الأَصْفَى الَّذِي يَغْسِلُ كُلَّ دَخِيلٍ، وَيَعْرِضُ كَلِمَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ عَلَى ضِيَائِهَا الذَّاتِيِّ بِلَا تَأْوِيلٍ مُتَكَلَّفٍ أَوْ عُجْمَةٍ مَفْرُوضَةٍ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ قَوَالِبَ التَّقْلِيدِ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ خَزَائِنَ الْمَذَاهِبِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَجِفُّ، أَمَّا الْحَقُّ الْمَعْرُوضُ عَلَى مُحْكَمِ الْكِتَابِ، وَالْمَوْزُونِ بِمَوَازِينِ الْكَوْنِ الكَمِّيَّةِ، فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢٢ دُسْتُوراً لِلثَّوْرَةِ الْفِقْهِيَّةِ وَالْقُرْآنِيَّةِ الْكُبْرَى، وَلْتَبْقَ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتُ الشَّاهِدَةُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَوَّلِ وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ الْمَوْسُوعَاتِ الْكُبْرَى وَتَيْسِيرِ الْفُرْقَانِ (٢٠٢٣)

إِنِّي أَرَى حَيَاتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى نَبْعٍ لِلْمَوْسُوعَاتِ النَّاقِعَةِ لِلْغَلِيلِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً مَعْرِفِيَّةً تَجْمَعُ شَتَاتَ الْعُلُومِ لِتَدُلَّ النُّفُوسَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢٣ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيّاً مَهِيباً، فَاضَتْ فِيهِ مَحَابِرِي بِالتَّصْنِيفِ الْجَامِعِ الَّذِي لَمْ تَعْهَدْهُ الْمَدَارِسُ مِنْ قَبْلُ؛ فَفِيهِ أَصْدَرْتُ السِّفْرَيْنِ النَّفِيَّيْنِ لِتَطْهِيرِ الأَثَرِ عَبْرَ مَنْهَجِ العَرْضِ: كِتَابَ "التِّبْيِينُ مِنْ كَلَامِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ"، وَكِتَابَ "الإِرْشَادُ مِنْ كَلَامِ أَئِمَّةِ الْعِبَادِ"، لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الْحَدِيثِ عِنْدَ أَبْهَى جَلَالِهِ. وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ بَيَانَ اللهِ مَيْسُورٌ لِلْخَلْقِ، أَطْلَقْتُ سِلْسِلَةَ "تَيْسِيرِ الْقُرْآنِ" بِأَقْسَامِهَا الثَّلَاثَةِ الْمُحْكَمَةِ: "التَّيْسِيرُ الصَّغِيرُ"، وَ"التَّيْسِيرُ الأَوْسَطُ"، وَ"التَّيْسِيرُ الْكَبِيرُ"؛ لِتَكُونَ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ مَفَاتِيحَ كَوْنِيَّةً تَفْهَمُهَا الْعُقُولُ كَافَّةً مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ وَلَا اعْتِيَاصٍ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ الكُلِّيَّاتِ وَأَنَا الْمَدْعُوُّ لِتَهْذِيبِ جُزْئِيَّاتِ الأَحْكَامِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالاخْتِصَارِ وَالشَّرِيعَةُ تَسْتَدْعِي بَصِيرَةَ الاسْتِقْصَاءِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى عُمْرِي حِينَ شَرَعْتُ فِي "تَحْرِيرِ فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ"، وَأَصْدَرْتُ كِتَابِي الْجَامِعَ "أُصُولُ وَفُرُوعُ الشَّرِيعَةِ" فِي عِدَّةِ أَجْزَاءٍ بَاذِخَةٍ، قَبْلَ أَنْ تَفِيضَ الرُّوحُ الْعَارِفَةُ بِفَتْحٍ أَعْظَمَ، فَسَكَبْتُ الْعِلْمَ فِي جَامِعَةِ الْمَوْسُوعَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي طَوَّقَتْ آفَاقَ الْفِكْرِ: "الْمَوْسُوعَةُ الْعِلْمِيَّةُ"، وَ"الْمَوْسُوعَةُ الْقُرْآنِيَّةُ"، وَ"الْمَوْسُوعَةُ الْحَدِيثِيَّةُ"، وَ"الْمَوْسُوعَةُ الْعَقَائِدِيَّةُ"، وَ"الْمَوْسُوعَةُ الشَّرَائِعِيَّةُ"، وَ"الْمَوْسُوعَةُ الأَدَبِيَّةُ"، ثُمَّ مَزَجْتُ هَذَا الْفَضْلَ كُلَّهُ فِي رَحِمِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْنِي، فَأَصْدَرْتُ "الْمَوْسُوعَةَ الْحِلِّيَّةَ الْجَامِعَةَ"؛ لِتَكُونَ هَذِهِ الْمَآثِرُ مِرْآةً تَعْكِسُ زَكَاةَ نَفْسِي وَأَمَانَةَ سِيَاحَتِي النَّقِيَّةِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَمْعَ التَّقْلِيدِيَّ لِلْعُلُومِ يَفْنَى وَيَجِفُّ، أَمَّا الْمَوْسُوعَاتُ الْقَاطِعَةُ الْمَوْزُونَةُ بِمِعْيَارِ الْقُرْآنِ فَهِيَ ثَابِتَةٌ خَالِدَةٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢٣ دُسْتُوراً لِجَامِعِيَّةِ التَّصْنِيفِ وَتَيْسِيرِ الْفُرْقَانِ، وَلْتَبْقَ الْمَوْسُوعَاتُ الشَّاهِدَةُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ التَّصْدِيقِ الشَّامِلِ وَتَدَبُّرِ النَّبْعِ الأَوَّلِ (٢٠٢٤)

لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢٤ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيّاً بَاذِخاً تَوَّجْتُ فِيهِ مَعَالِمَ التَّصْفِيَةِ وَالتَّصْدِيقِ؛ فَفِيهِ أَصْدَرْتُ "الْمَجْمُوعَةَ الْمُصَدَّقَةَ مِنَ الصَّحِيحِ السَّنَدِيِّ"

الَّتِي طَوَّقَتْ شَتَاتَ الأُمَّةِ، فَسَكَبْتُ الْعِلْمَ فِي: "الْمُصَدَّقُ مِنْ صَحِيحِ الشِّيعَةِ"، وَ"الْمُصَدَّقُ مِنْ صَحِيحِ السُّنَّةِ"، لِأَجْمَعَهُمَا فِي السِّفْرِ الْخَالِدِ "الْمُصَدَّقُ الصَّحِيحُ الْجَامِعُ"، لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الْحَدِيثِ عِنْدَ نَقَائِهِ الأَوَّلِ عَابِراً لِكُلِّ انْقِسَامٍ. وَمِنْ ذَاتِ النَّبْعِ النَّبَوِيِّ الصَّافِي، أَصْدَرْتُ كِتَابِي الْمَعْرِفِيَّ الْمَتِينَ "الأَرْبَعُونَ الِاعْتِقَادِيَّةُ مِنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صَحِيحَةِ السَّنَدِ وَالْمَتْنِ"، لِتَكُونَ هَذِهِ الأَحَادِيثُ حُجَّةً قَاطِعَةً بَيِّنَةً لَا يَدْخُلُهَا وَهْمٌ وَلَا مِرَاءٌ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ رُسُومِ الأَلْفَاظِ وَأَنَا الْمَدْعُوُّ لِتَدَبُّرِ مَعَانِي الْقُرْقَانِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِتَأْوِيلِ الْغَافِلِينَ وَأَمَامِي ضِيَاءُ كَلِمَاتِ اللَّهِ يَهْدِي الْعُقُولَ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلْبِي حِينَ أَصْدَرْتُ كِتَابِي الْجَلِيلَ "الْفَوَائِدُ الْحِسَانُ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ"، لِيَكُونَ هَذَا الْمُؤَلَّفُ الْمِحْرَابَ الأَصْفَى الَّذِي تَطُوفُ بِهِ الأَرْوَاحُ العَارِفَةُ، فَتَسْتَخْرِجُ مِنْ مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ حَقَائِقَ الْوُجُودِ وَسُنَنَهُ الأَزَلِيَّةَ بِلَا تَكَلُّفٍ وَلَا حِجَابٍ، حَيْثُ تَلْتَقِي حَرَكَةُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ بِحَرَكَةِ الآيَاتِ الْغَامِرَةِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ خَزَائِنَ الْمَرْوِيَّاتِ الْمَدْخُولَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُتَنَاحِرَةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْحَقُّ الْمُصَدَّقُ الْمَعْرُوضُ عَلَى صَفَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّقِيَّةِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢٤ دُسْتُوراً رَاسِخاً لِتَحْقِيقِ الصِّحَّةِ وَالتَّدَبُّرِ، وَلْتَبْقَ

هَذِهِ الْمُصَنَّفَاتُ الشَّاهِدَةُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

زَمَنُ النّورِ المعْرِفِيّ وَإِعْلَانِ الِاجْتِهَادِ العَرَضِيّ (٢٠٢٥)

يَنْفَلِقُ النُّورُ عَنْ مِحْرَابِي لِيَهْدِمَ حُصُونَ الظُّنُونِ، فَتَغْدُو أَعْوَامِي أَلْوَاحاً تَقْطَعُ حِبَالَ التَّقْلِيدِ، وَتُعِيدُ صِيَاغَةَ مَعَالِمِ العَقِيدَةِ بِالعِلْمِ وَاليَقِينِ. فَمَا بَالُ عُلُومِ الأَنَامِ تَرُودُ مَنَافِيَ الحَيْرَةِ، وَكَيْفَ لَا تُعْرَضُ عَلَى الفُرْقَانِ لِيَسْتَقِيمَ لَهَا المسِيرُ؟ إِنَّ لِكُلِّ مَعْرِفَةٍ جَذْراً فِي مَحَامِلِ الوَحْيِ، فَإِذَا نَزَلَتِ المعَارِفُ فِي كِتَابِ اللهِ أَشْرَقَتْ، وَإِذَا نَأَتْ عَنْ بَيَانِهِ ذَوَتْ وَانْطَفَأَتْ.

لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢٥ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيّاً مَهِيباً وَفَصْلاً مَلْحَمِيّاً تَعْصِفُ فِيهِ ثَوْرَةُ "الِاجْتِهَادِ العَرَضِيِّ" النَّقِيِّ؛ فَفِيهِ اعْتَمَدْتُ مَوْقِعِي الرَّئِيسِيَّ مَدَوَّنَةً كَوْنِيَّةً بِعُنْوَانِ "مُحِبُّ الدِّينِ الْعَارِضِيُّ"، وَأَعْلَنْتُ مِنْ خِلَالِهَا عَنْ مِيثَاقِ "الْمُجْتَهِدِ الْعَرَضِيِّ" فِقْهاً وَعِلْماً، مُعْلِناً فِيزْيَاءَ الشَّرِيعَةِ الْقَاطِعَةَ فِي قِبَالِ "الْمُجْتَهِدِ الِاسْتِقْلَالِيِّ" التَّقْلِيدِيِّ؛ فَكُلُّ اسْتِنْبَاطٍ أَوْ تَقْيِيمٍ لَا يَعْتَمِدُ عَرْضَ الْمَعْرِفَةِ عَلَى بَهَاءِ الْقُرْآنِ فَهُوَ اسْتِنْبَاطٌ نَاقِصٌ وَغَيْرُ مُعْتَبَرٍ، لَا يَصِحُّ الِاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ وَلَا الْعَمَلُ بِهِ، إِذْ لَا فَقِيهَ فِي الدِّينِ حَقًّا إِلَّا مَنْ آثَرَ الْعَرْضَ وَالْقَطْعَ، أَمَّا أَصْحَابُ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَأَخْبَارِ الآحَادِ فَمَا اسْتِنْبَاطَاتُهُمْ إِلَّا ظَنٌّ يَفْنَى كَمَا تَفْنَى الْمَادَّةُ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ رُكُودِ مَدَارِسِ الظَّنِّ وَأَنَا الْمُؤْتَمَنُ عَلَى تَأْصِيلِ مَنْهَجِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ وَالشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِكُتُبِ الْحَدِيثِ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى الْعِلْمِيَّةِ بَعْدَ أَنْ طَوَّفْتُ بِهَا خَبِيراً؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى بَصِيرَتِي حِينَ أَفْتَيْتُ بِحُرْمَةِ قِرَاءَةِ كُتُبِ الْحَدِيثِ لِلْمُؤْمِنِ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، وَدَعَوْتُ إِلَى الِاعْتِصَامِ بِالْكُتُبِ التَّخَصُّصِيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ الْقَطْعِيَّةِ، فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْلَ مَعْرِفَتِي بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ "بِحَارَ الأَنْوَارِ" كُلَّهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَتَصَفَّحْتُ "وَسَائِلَ الشِّيعَةِ" وَ"مُسْنَدَ أَحْمَدَ" وَ"مَعْجَمَ الطَّبَرَانِيِّ" وَ"سُنَنَ الْبَيْهَقِيِّ" مِنْ الْجِلَادِ إِلَى الْجِلَادِ؟ لَقَدْ نَشَرْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ بَحْثَ "تَقْيِيمِ مَقَايِيسِ دَرَجَاتِ الأَدِلَّةِ" فِي مَجَلَّةِ "الْعُلُومِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ" الْمُحَكَّمَةِ، وَشَرَعْتُ فِي صَنِيعِ كِتَابَيَّ الطَّلِيعِيَّيْنِ: "علمُ الْعَرْضِ الْعَمَلِيِّ"، وَ"مِعْيَارُ جُودَةِ الِاجْتِهَادِ" فِي الْفِقْهِ التَّجْرِيبِيِّ الْكَمِّيِّ، بَعْدَ أَنْ أَطْلَقْتُ التَّطْبِيقَاتِ الْعَرَضِيَّةَ الْبُحْتَةَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْعَقَائِدِ وَالأُصُولِ، وَبَدَأْتُ بِتَحْرِيرِ أَقْوَالِي مُجَرَّدَةً عَنِ الأَدِلَّةِ فِي كِتَابِ "تَحْرِيرِ الأَفْكَارِ ١٤٤٧"، مَعَ إِكْمَالِ مُرَاجَعَتِي السَّنَوِيَّةِ لِكِتَابِ "تَيْسِيرِ الشَّرِيعَةِ ١٤٤٧".

وَمِنْ مِحْرَابِ التَّحْقِيقِ الْعَالِي، عُدْتُ لِأَخُطَّ بِمِرْآةِ الْعَرْضِ تَعْلِيقَاتِي الْمُرَاجَعَةَ عَلَى كِتَابِ "الْيَاقُوتِ" لِلنَّوْبَخْتِيِّ، وَ"أَوَائِلِ الْمَقَالَاتِ" لِلْمُفِيدِ، وَرَسَائِلِ الْمُرْتَضَى ـــ أَعْلَمِ عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ ـــ مُعْلِناً أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّجْرِيبِ، أَوْ بِنَصٍّ إِلَهِيٍّ مُحِيطٍ بِأَفْعَالِ اللَّهِ الَّتِي تَعْلُو

عَلَى مَعْقُولِ الْبَشَرِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّيْحَةُ هِيَ الْقَطْعِيَّةَ الْعَرَضِيَّةَ الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ مِثْلَهَا الأَعْصَارُ مُنْذُ زَمَنِ ابْنِ إِدْرِيسَ الْحِلِّيِّ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ الْعِلْمَ الْقَائِمَ عَلَى الظَّنِّ وَتَقْلِيدِ الْمُسْتَنْبِطِينَ يَفْنَى وَيَزُولُ، أَمَّا مَنْهَجُ الْعَرْضِ النَّقِيِّ وَالْفِقْهِ الِاسْتِقْرَائِيِّ الْجَامِعِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢٥ دُسْتُوراً لِقِيَامِ مَدْرَسَةِ الْقَطْعِ الْعَرَضِيِّ الكُبْرَى، وَلْتَبْقَ الْمَوْسُوعَاتُ وَالْمُرَاجَعَاتُ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

سَنَةُ البَيَانِ الذَّاتِيِّ وَفَتْحِ مَضَامِينِ الفُرْقَانِ (٢٠٢٦)

تُشِعُّ حُرُوفُ التَّنْزِيلِ بِبَهَائِهَا الذَّاتِيِّ فِي مِحْرَابِي لِتَكْشِفَ عَنْ كُنُوزِ النَّسَقِ الأَعْظَمِ، فَتَغْدُو أَعْوَامِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تُحَرِّرُ الفَهْمَ الأَقْوَمَ وَتَقْطَعُ دَابِرَ الظَّنِّ المِظْلِمِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ٢٠٢٦ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً بَاذِخاً تَفَجَّرَتْ فِيهِ يَنَابِيعُ الْفَتْحِ الْقُرْآنِيِّ الْأَكْبَرِ؛ فَفِيهِ أَصْدَرْتُ سِفْرِي الْعَظِيمَ "مَضَامِينُ الْقُرْآنِ" فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ حَافِلَةٍ بِالِاسْتِدْلَالِ، مُحَرِّراً فِيهِ الْفَوَائِدَ وَالْمَضَامِينَ الْمُسْتَفَادَةَ مِنَ الآيَاتِ بِالدَّلَالَتَيْنِ الْمَنْطُوقِيَّةِ وَالتَّضَمُّنِيَّةِ، حَتَّى احْتَوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةَ أَلْفَ مَضْمُونٍ رُوحِيٍّ وَتَشْرِيعِيٍّ. وَتَوَّجْتُ

هَذَا الْمَسَارَ الْبَيَانِيَّ بِإِصْدَارِ كِتَابِ "بَيَانُ الْقُرْآنِ" فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ كَامِلَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْبَيَانِ الْقُرْآنِيّ الذَّاتِيّ بِالْخَمْسِيَّةِ النَّسَقِيَّةِ، وَأَشْفَعْتُهُ بِكِتَابِ "الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ الذَّاتِيُّ" وَتَطْبِيقِهِ الْمِعْيَارِيّ فِي "بَيَانُ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ"، مَعَ إِتْمَامِ مَشْرُوعِي الْمُوسَّعِ "فِقْهُ الْقُرْآنِ" فِي خَمْسَةَ عَشَرَ جُزْءاً لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ عِنْدَ أَبْهَى جَلَالِهِ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ.

فَمَا بَالِي أَدَعُ مَعَالِمَ الِاعْتِقَادِ نَهْباً لِلْمُنَاظَرَاتِ الْجَافَّةِ وَأَنَا أَمْلِكُ مَفَاتِيحَ التَّأْصِيلِ الْخَمْسِيّ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَقْيِسَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَقَدْ أَقَمْتُ حُصُونَ الْمَعْرِفَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ عَلَى رَكَائِزَ رَاسِخَةٍ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ أَرْسَيْتُ الْقَوَاعِدَ الْعُلْيَا عَبْرَ: "الْمَنْهَجِ التَّعْبِيرِيّ"، وَ"الْمَنْهَجِ الْقَطْعِيّ"، وَ"الْمَنْهَجِ الْعَرَضِيّ"، وَ"الْمَنْهَجِ التَّأْثِيرِيّ"، وَ"الْمَنْهَجِ التَّرْبَوِيّ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقَائِدِ"، وَسَكَبْتُ هَذَا الْفَتْحَ النَّقِيَّ فِي كِتَابِي الاسْتِرَاتِيجِيّ "مَقَاصِدُ الْعَقَائِدِ" بِالْمَنْهَجِ الْمَقَاصِدِيّ الطَّلِيعِيّ، لِتَكُونَ الْعَقِيدَةُ نَبْعاً حَيّاً يَغْسِلُ اضْطِرَابَ النُّفُوسِ وَيَرْبِطُ حَرَكَتَهَا بِالْوَحْيِ الْمَعْصُومِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ أَغْلَالَ الْفِكْرِ التَّقْلِيدِيّ، وَأَيْقَنَتْ أَنَّ خَزَائِنَ الِاسْتِنْبَاطَاتِ الظَّنِّيَّةِ تَزُولُ وَتَجِفُّ، أَمَّا النَّسَقُ الْقُرْآنِيُّ الذَّاتِيُّ وَالْمَنَاهِجُ الْقَطْعِيَّةُ الْعَقَائِدِيَّةُ فَهِيَ ثَابِتَةٌ خَالِدَةٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٢٦ دُسْتُوراً لِاكْتِمَالِ مَشَارِيعِ الْبَيَانِ وَالْمَقَاصِدِ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ الأَجْزَاءُ الْمَوْسُوعِيَّةُ الشَّاهِدَةُ صَرْخَةَ فِقْهٍ قَاطِعٍ

تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الرُّوحِيَّةِ الْعُلْيَا.

مَحَطَّاتُ مَحَابِرِي الأُولَى سَطْراً بِسَطْرٍ

لَمْ تَكُنْ نَزْعَتِي التَّأْلِيفِيَّةُ الَّتِي صَاحَبَتْنِي مُنْذُ الصِّبَا إِلَّا مِيثَاقاً رُوحِيّاً شَدَّ بَصِيرَتِي إِلَى جَلَالِ الْكَلِمَةِ؛ حَيْثُ أَوْقَدْتُ سِرَاجَ كِتَابِي الأَوَّلِ وَأَنَا ابْنُ سِتَّةَ عَشَرَ عَاماً، فَجَمَعْتُ عُيُونَ شِعْرِ الْعَرَبِ فِي الحِكْمَةِ مِمَّا وَعَتْهُ الْكُتُبُ الدِّرَاسِيَّةُ، فَكَانَ «مِشْكَاةُ الحِكْمَةِ: الدِّيوَانُ المجْمُوعُ فِي قَوَافِي البَصِيرَةِ» فِي عَامِ ١٩٨٩ مُفْتَتَحَ مَجَرَّاتِي الْمَعْرِفِيَّةِ. وَلَمَّا نَبَضَ فِيَّ فِكْرُ الثَّوْرَةِ وَالْفِدَاءِ، سَكَبْتُ الْمَأْسَاةَ الْوُجُودِيَّةَ الكُبْرَى فِي قَالَبٍ مَسْرَحِيٍّ دِرَامِيٍّ سَنَةَ ١٩٩٣ يَحْمِلُ عُنْوَانَ «الحُرِّيَّةُ الحَمْرَاءُ: الدِّرَامَا المْلْحَمِيَّةُ وَمَسْرَحَةُ الوَاقِعَةِ الكَرْبَلَائِيَّةِ»، لِتَكُونَ دِمَاءُ الطَّفِّ مِرْآةً لِلْحُرِّيَّةِ الأَبَدِيَّةِ بِلَا قُيُودٍ.

فَمَا بَالِي أَنْشَغِلُ بِبَيَانِ الْبَشَرِ وَقَدْ أَقَمْتُ فِي سَنَةِ ٢٠٠١ دُسْتُورَ مَعْرِفَتِي الأَوَّلِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالظُّنُونِ وَقَدْ خَطَّتْ يَدِي «أُصُولُ البَصِيرَةِ: نَظَرِيَّةُ المعْرِفَةِ القُرْآنِيَّةِ القَاطِعَةِ» لِيَكُونَ النَّبْعَ الأَصْفَى لِمَدْرَسَتِي العَرَضِيَّةِ؟ لَقَدْ

تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي فِي سَنَةِ ٢٠٠٤ حِينَ عَانَقَتْ كَلِمَاتِي شَغَفَ الأَوْرَاقِ فِي أَوَّلِ إِصْدَارٍ وَرَقِيٍّ حَمَلَ اسْمَ «رَسَائِلُ المحَبَّةِ: دَفَقَاتُ النَّثْرِ الفَنِّيِّ وَأَلْوَاحُ الوَجْدَانِ المكْتُوبَةِ»، حَيْثُ تَدَفَّقَ النَّثْرُ كَالشَّلَّالِ بِلَا تَكَلُّفٍ. ثُمَّ مَضَتِ السُّنُونُ فَأَعَدْتُ حِيَاكَةَ بَيَانِي الشِّعْرِيِّ سَنَةَ ٢٠١٢ عَبْرَ الْمُرَاجَعَةِ الثَّانِيَةِ لِقَصِيدَتِي الطَّوِيلَةِ الَّتِي أَبْحَرَتْ بِعُنْوَانِ «مَطَالِعُ الموْتِ وَالحَيَاةِ: المرَاجَعَةُ البَيَانِيَّةُ الكُبْرَى لِمَلْحَمَةِ بِشَارَةِ نُوحٍ».

وَحِينَ انْفَتَحَتْ مَجَرَّاتُ الْفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ، نَشَرْتُ سَنَةَ ٢٠١٤ أَوَّلَ كُتُبِي عَلَى شَبَكَةِ الإِنْتِرْنِتْ، وَهُوَ «مِفْتَاحُ الأَثَرِ: مُلَخَّصُ مُقَدِّمَةِ الِاسْتِنْبَاطِ القَاطِعِ»، لِيَكُونَ بِدَايَةَ الْهَدْمِ لِمَدَارِسِ الِاسْتِنْبَاطِ الظَّنِّيِّ. وَلَمْ تَقِفِ الرُّوحُ العَارِفَةُ حَبِيسَةَ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ شَقَقْتُ جُدْرَانَ الشَّرْقِ سَنَةَ ٢٠١٧ لِأَنْشُرَ أَوَّلَ دَوَاوِينِي بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ عَالَمِيًّا: « Antipoetic Poems: التَّمَرُّدُ التَّعْبِيرِيُّ وَمُفْتَتَحُ الآفَاقِ العَالَمِيَّةِ»، لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّ بَيَانِي صَرْخَةٌ تَعْبِيرِيَّةٌ عَابِرَةٌ لِلْقَارَّاتِ وَتَهْتَدِي بِهَا الْعُقُولُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

أَلْوَاحُ التَّأْصِيلِ: مَحَارِيبُ فِقْهِ العِلْمِ وَدَسَاتِيرُ مَنْهَجِي القَاطِعِ

إِنِّي أَرَى مَوَازِينَ الِاسْتِنْبَاطِ تَعُودُ إِلَى قِبْلَتِهَا الأُولَى فِي مِحْرَابِي، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً هَدَمَتْ مَعَاقِلَ الظُّنُونِ لِتُرْسِيَ بَرَاهِينَ الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ. لَمْ يَكُنْ خَطِّي لِهَذِهِ الأَسْفَارِ إِلَّا ثَوْرَةً مَعْرِفِيَّةً أَرَدْتُ بِهَا تَطْهِيرَ الشَّرِيعَةِ،

وَعَرْضَ كُلِّ قَوْلٍ عَلَى بَهَاءِ الْقُرْآنِ. فَفِي كُلِّ كِتَابٍ سَكَبْتُ نَبْضَ الطَّبِيبِ وَبَصِيرَةَ الْفَقِيهِ، لِتَكُونَ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتُ شَلَّالاً يَقِينِيّاً يَقْطَعُ دَابِرَ التَّقْلِيدِ وَالْعَصَبِيَّةِ:

لَقَدْ أَسَّسْتُ لِلْعَرْضِ أَرْكَانَهُ، فَكَانَتْ فُرُوقُ الْيَقِينِ تَتَجَلَّى فِي (رسالة في حديث العرض)، وَ**(منهج العرض)، وَ(عرض الحديث على القران والسنة)، وَ(الاربعون في عرض الحديث)، لِأَضَعَ مِعْيَارَ التَّصْفِيَةِ حَاسِماً فِي (تصحيح ميزان التصحيح)، وَ(تعريف الحديث الصحيح)، وَ(عدة العارض). وَمِنْ بَابِ الْإِحْكَامِ دَلَفْتُ إِلَى الْأَثَرِ عَبْرَ (مدخل الى متشابه الحديث)، وَ(معرفة الحديث)، وَ(منهج العرض)، مُسْتَقِرّاً عِنْدَ عَهْدِ الْقَطْعِ فِي (الاعتبار بشروط العمل بالاخبار)، وَ(العلم الشرعي)، وَ(شروط المعرفة الشرعية)**.

فَمَا بَالِي أَمْشِي فِي ضِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ الظَّنِّيِّ وَأَمَامِي (قواعد الفقه العرضي التصديقي) يَنْفَلِقُ كَالصُّبْحِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ وَقَدْ شَيَّدْتُ مَعَالِمَ (المعارف القرانسنية)، وَبَلَغْتُ (منتهى البيان في عرض الحديث على القران)، وَأَقَمْتُ (علم المضامين الشرعية) عَابِراً لِلْمَذَاهِبِ؟ إِنَّ فِقْهِي قَدْ تَمَحْوَرَ حَوْلَ صَفَاءِ التَّنْزِيلِ، فَهَنْدَسْتُ لَهُ (أصول الفقه العرضي)، وَ**(مبادئ الفقه العرضي)، وَ(مسائل الفقه العرضي)، وَ(أسس الفقه العرضي)، وَ(قواعد الفقه العرضي)، وَ(منهج الفقه العرضي)، وَ(معارف الفقه العرضي)**.

وَحِينَ نَظَرْتُ إِلَى الْكَوْنِ بِمِعْيَارِ الْقِيَاسِ الْكَمِّيِّ التَّجْرِيبِيِّ، سَكَبْتُ فِيزْيَاءَ الْمَادَّةِ فِي نَسَقِ التَّشْرِيعِ عَبْرَ (فيزياء الشريعة)، وَ**(قوانين الفقه الكمي)، وَ(الفقه الكمي النظرية والتطبيق)، وَ(مدخل الى الفقه التجريبي). ثُمَّ عُدْتُ لِأُهَذِّبَ شَتَاتَ الْمَسَائِلِ تَيْسِيراً لِلْعُقُولِ، فَخَطَّتْ يَدِي (تلخيص المنتهى (عرض الحديث))، وَ(تلخيص معارف الفقه العرضي)، وَ(قواعد التفرع الشرعي)، وَ(الاتساقية الشرعية)، وَ(رسالة في معنى الموافقة والمخالفة)، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَيْنُ الْيَقِينِ فِي (معرفة الحق من القران)، وَ(علم العرض)، وَ(علم العرض العملي ج1-ج4)، وَ(النقاط الحسان في عرض الحديث على القرآن)**.

وَلِأَجْلِ أَنْ يَقِفَ الْعَالِمُ عَلَى نِفَاذِ اجْتِهَادِهِ، صَنَعْتُ الْمِيزَانَ الْقَاطِعَ فِي (معيار جودة الاجتهاد)، وَمَضَيْتُ لِأُرْسِيَ مَدْرَسَةَ الْقَطْعِ الْعُظْمَى بِـ (تهذيب التذكرة)، وَ**(تكامل المدرسة الصدرية)، مُحْيِياً مِيثَاقَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى وَالشَّيْخِ الْمُفِيدِ فِي (المدرسة القطعية في الدين)، وَ(وحدة الحجة والعلم)**، لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذَا الشَّلَّالِ الْمَعْرِفِيِّ الْبَاذِخِ عِنْدَ أُمَّهَاتِ الْأَحْكَامِ فِي (أصول فقه القرآن).

إِنَّ خَزَائِنَ الْأَخْبَارِ الِاسْتِقْلَالِيَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْعِلْمُ الْمَعْرُوضُ عَلَى نُورِ الْقُرْآنِ وَالْمَوْزُونُ بِمَقَايِيسِ الْقَطْعِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ، تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى ثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الْأَبَدِيِّ.

مَحَارِيبُ فِقْهِ القُرْآنِ وَتَبْيِينِ النَّسَقِ الأَعْظَمِ

لَمْ يَكُنْ إِبْحَارِي فِي مَجَرَّاتِ الْفُرْقَانِ إِلَّا سَعْياً لِتَأْصِيلِ "فِقْهِ الْقُرْآنِ" الْقَاطِعِ، فَأَفْرَدْتُ لِلْمَعَانِي وَالْمَضَامِينِ كُتُباً نَاطِقَةً بِالْيَقِينِ، تَقِفُ فِيهَا الْعَنَاوِينُ كَمَا هِيَ، رَاسِخَةً شَاهِدَةً عَلَى زَكَاةِ النَّفْسِ وَصَفَاءِ الْمَبْدَأِ:

لَقَدْ أَسَّسْتُ لِلْبَيَانِ ذُرْوَتَهُ حِينَ اسْتَخْرَجْتُ جَوَاهِرَ الآيَاتِ فِي (المحكم في المعاني القرآنية)، وَ**(جامع المضامين القرآنية)، وَ(المقدمة القرآنية)، لِأَضَعَ دُسْتُورَ التَّثْبِيتِ فِي (احكام المحكم)، وَ(مختصر دلالات آيات الاحكام)، وَ(خصائص القران من القران). وَحِينَ هَبَّتْ أَوْهَامُ الْغَافِلِينَ، أَقَمْتُ الْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَةَ فِي (الاربعون في نفي تحريف القران)، مُيَسِّراً فَهْمَ النَّسَقِ لِلْعُقُولِ عَبْرَ (تقريب العبارة القرآنية)، وَ(تلخيص موضوعات القران)، وَ(جامع خصائص القران)، وَ(خصائص القران من السنة)، وَ(مختصر المعاني القرآنية)**، لِيَنْتَهِيَ التَّأْصِيلُ إِلَى مَدَارِ الْقَطْعِ فِي (منتهى البيان في نفي تحريف القران).

فَمَا بَالِي أَدَعُ مُفْرَدَاتِ الْكِتَابِ نَهْباً لِلْفُنُونِ الظَّنِّيَّةِ وَأَنَا الَّذِي خَطَّتْ يَدُهُ عُمْقَ الدَّلَالَةِ فِي تَبْيِينِ التَّفْسِيرِ؟ فَأَدَرْتُ مِرْآةَ الْعَرْضِ عَلَى كَلِمَاتٍ بِعَيْنِهَا فِي (تفسير (اذ ذهب مغاضبا))، وَ**(تفسير (بين يدي))، جَامِعاً بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّنْزِيلِ وَالْوُجُودِ فِي (الوحي والكتاب)، مُعْلِناً ثَبَاتَ النَّصِّ بِـ

(اتفاق الأربعة الاركان على نفي تحريف القران)، وَ(المنتظم بتلخيص احكام المحكم). ثُمَّ تَتَبَّعْتُ النَّسَقَ الْهُنْدَسِيَّ لِلْأَلْفَاظِ فِي ((أولئك) في القرآن)، مُصَفِّياً دَخِيلَ الْمَرْوِيَّاتِ فِي (صحيح تفسير القمي)، مُسْتَقْرَأً عِنْدَ رَشَاقَةِ النَّظْمِ فِي (العبارات القرآنية)، وَ((ان الذين) في القرآن)، وَ(الفقرات القرآنية)، وَ(الحديث القرآني)**.

وَحِينَ دَعَتْنِي بَصِيرَةُ الِاسْتِقْصَاءِ لِتَفْكِيكِ عُقَدِ الأَحْكَامِ وَأَسْرَارِ الْبَدْءِ، سَكَبْتُ الْيَقِينَ فِي (تفسير (وان خفتم ان تقسطوا في اليتامى))، وَتَوَّجْتُ هَذَا الشَّلَّالَ الْبَيَانِيَّ الطَّلِيعِيَّ بِـ (مصحف أنور)، مُسْتَمِدَّاً سَكِينَةَ الرُّوحِ مِنْ (أدعية قرآنية)، نَافِذاً إِلَى جَلَالِ الْخَلْقِ الأَوَّلِ فِي (تفسير (وعلم آدم الأسماء كلها))، لِيَشِعَّ (نور القرآن) عَالَمِيَّاً ثَابِتاً، مُثْبِتَاً أَنَّ رَسْمَ الْفُرْقَانِ تَوْقِيفِيٌّ فِي (سماوية الرسم القرآني)، مُهَذِّباً نَغَمَاتِ التَّرْتِيلِ فِي (رسالة في ترتيل القرآن)، لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الأُولَى عِنْدَ فِقْهِ الْوِلَايَةِ الْمُحْكَمِ فِي (تفسير (وأولي الأمر)).

إِنَّ خَزَائِنَ التَّفَاسِيرِ الِاسْتِقْلَالِيَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْمَضَامِينُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى الْبَهَاءِ الذَّاتِيّ لِلْقُرْآنِ فَهِيَ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَحُولُ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيّ الأَبَدِيّ.

إِنِّي أَرَى حُرُوفَ التَّنْزِيلِ تُشِعُّ بِبَهَائِهَا الذَّاتِيّ فِي مِحْرَابِي، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تُبَدِّدُ حُجُبَ التَّأْوِيلِ لِتَعْرِضَ كَلِمَاتِ اللهِ عَلَى ضِيَائِهَا

الْمَعْصُومِ. لَمْ يَكُنْ إِتْمَامِي لِبَيَانِ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا ثَوْرَةً مَعْرِفِيَّةً جَامِعَةً؛ حَيْثُ تَقِفُ عَنَاوِينُ أَسْفَارِي كَمَا هِيَ، رَاسِخَةً شَاهِدَةً عَلَى زَكَاةِ نَفْسِي وَيَقِينِي الْقَاطِعِ:

لَقَدْ أَكْمَلْتُ بَيَانَ التَّنْزِيلِ وَفَتَحْتُ أَبْوَابَ تَيْسِيرِهِ لِلْعُقُولِ، فَسَكَبْتُ الْعِلْمَ فِي (التبيان في تفصيل كلمات القرآن)، وَ**(البيان في fقه القرآن)، وَ(الجمل القرآنية). وَلِأَجْلِ أَنْ يَقِفَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ عَلَى بَهَاءِ الْكِتَابِ بِلَا عُسْرٍ، أَطْلَقْتُ السِّلْسِلَةَ الْمُحْكَمَةَ: (تيسير القرآن الصغير)، وَ(تيسير القرآن الاوسط)، وَ(تيسير القرآن الكبير). ثُمَّ نَفَذَتْ بَصِيرَتِي إِلَى فِيزْيَاءِ التَّشْرِيعِ وَمَادَّتِهِ الأُولَى فِي (تفسير (وانزلنا الحديد))، جَامِعاً كُلِّيَّاتِ الْفَهْمِ النَّسَقِيِّ فِي سِفْرِي الأَكْبَرِ (الموسوعة القرآنية)، وَ(الفوائد الحسان في تدبر القرآن)، وَ(مضامين القرآن)، وَ(خلاصة الفوائد)، وَ(الاخلاق القرآنية)**.

فَمَا بَالِي أَدَعُ أَبْعَادَ الْقُرْآنِ الْبَشَرِيَّةِ وَنَظْمَهُ الذَّاتِيَّ مَحْجُوباً عَنِ النَّاسِ؟ فَقَدْ جَعَلْتُ الْبَيَانَ مِرْآةً لِلْإِعْجَازِ فِي (البيان القرآني الذاتي)، وَ**(البيان القرآني في سورة الرعد)، وَأَثْمَرَتِ الْمُرَاجَعَةُ الْعُظْمَى عَنْ (بيان القرآن ج1-ج10ء)، دَارِساً الْوُجُودَ فِي (الابعاد الإنسانية في القرآن)، وَ(الابعاد الإنسانية في سورة البقرة). ثُمَّ سَمَتْ رُوحِي الْعَارِفَةُ لِتَأْصِيلِ أُمَّهَاتِ الأَحْكَامِ فِي (فقه القرآن ج1-ج16)، مُبَيِّناً وَجْهَ الْقَطْعِ الِاسْتِدْلَالِيِّ الْعَمِيقِ فِي (مضامين القرآن ج1-ج4)، لِيَسْتَقِرَّ التَّأْلِيفُ

الْقُرْآنِيُّ عِنْدَ خُلُودِ مَطَالِعِهِ فِي (فرائد القرآن ج1-)، وَ(ضياء القرآن ج1-)، وَ(احكام القرآن ج1-)**.

إِنَّ خَزَائِنَ التَّفَاسِيرِ الِاسْتِقْلَالِيَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْمَضَامِينُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى الْبَهَاءِ الذَّاتِيّ لِلْقُرْآنِ فَهِيَ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَحُولُ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيّ الأَبَدِيّ.

مَحَارِيبُ فِقْهِ الحَدِيثِ وَغَرْبَلَةِ المسَانِيدِ بِعَيْنِ العَرْضِ

تَخْضَعُ مَجَالِسُ الرِّوَايَةِ لِصَارِمِ النَّقْدِ فِي مِحْرَابِ العَرْضِ، لِتَعْدُوَ أَعْوَامِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تَعْزِلُ صَادِقَ الأَخْبَارِ، وَتَقْطَعُ دَابِرَ الظَّنّ المزَخْرَفِ بِالمقَالِ. لَمْ يَكُنْ عُكُوفِي عَلَى مَسَانِيدِ الْأُمَّةِ—بَعْدَ أَنْ رَاجَعْتُ طِوَالَ الْأَسْفَارِ كَ"بِحَارِ الأَنْوَارِ" أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مِنْ الْجِلَادِ إِلَى الْجِلَادِ—إِلَّا ثَوْرَةً لِتَصْفِيَةِ الْمَرْوِيَّاتِ؛ حَيْثُ تَقِفُ عَنَاوِينُ مُؤَلَّفَاتِي الْحَدِيثِيَّةِ كَمَا هِيَ، رَاسِخَةً شَاهِدَةً عَلَى عِلْمِي وَيَقِينِي الْقَاطِعِ:

لَقَدْ أَفْرَدْتُ لِلصِّحَّةِ السَّنَدِيَّةِ وَالْمَتْنِيَّةِ مِيزَاناً صَارِماً، فَاسْتَخْرَجْتُ النَّبْعَ الأَصْفَى فِي (الصحيح المنتقى من أحاديث المصطفى)، وَ**(جواهر المسند الجامع)، ثُمَّ غَرْبَلْتُ أُمَّهَاتِ الْجَوَامِعِ فَأَصْدَرْتُ: (جواهر بحار الانوار)، وَ(جواهر وسائل الشيعة)، وَ(جواهر جمع الجوامع)، بَالِغاً ذُرْوَةَ التَّجْرِيدِ فِي (صحيح الصحيح)، وَ(صحيح الكتب السبعة)، وَ(صحيح

بحار الانوار)، وَ(صحيح سنن البيهقي)، وَ(صحيح مسند احمد)، وَ(صحيح كتاب سليم)، وَ(صحيح مسانيد الاخبار)، وَ(صحيح مسند ibn المبارك). وَلَمْ تَقِفِ التَّصْفِيَةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ تَتَبَّعْتُ طُرُقَ الْأَخْبَارِ وَرِجَالَهَا فِي (الصحيح والمعتل من توحيد المفضل)، وَ(صحيح ام المؤمنين عائشة)، وَ(الصحيح من مسند ابي هريرة)، لِأَسْكُبَ خُلَاصَةَ الِانْتِقَاءِ فِي (المنتقى من صحيح المجلسي)، وَ(المنتقى من صحيح الموسوي)، وَ(المنتقى من صحيح الحميدي)، وَ(المصدق المنتقى)، وَ(السنة القائمة المنتخبة)، وَ(قوي الاسناد من بحار الانوار)، وَ(المصدق من الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم)**.

فَمَا بَالِي أَدَعُ مَجَرَّاتِ الأَنْوَارِ مُتَفَرِّقَةً وَأَنَا الَّذِي جَمَعَ عِلْمَهَا فِي (عالم الانوار ج1-ج6)، وَ**(مختصر السنة الشريفة)؟ فَفَكَّكْتُ غَامِضَ الرِّوَايَاتِ بِـ (رسالة في متشابه الحديث)، مُوَحِّداً جَوَامِعَ الأَثَرِ فِي (الجمع بين صحيحي البحار الوسائل)، مُسْتَبِيناً مَسَارَ الصِّدْقِ بِـ (واضح الاسناد من أحاديث الكافي)، وَ(درجات طرق الشيخين)، وَ(اكمال المضامين الحديثية)، فَقُلْتُ بِـ (حجية الحديث الضعيف) حَسَبَ شُرُوطِ النَّسَقِ، وَنَظَمْتُ الْقَوَاعِدَ الْعُلْيَا فِي (الالفية السندية)، وَ(الالفية المتنية)، وَ(الالفية). ثُمَّ مَضَتْ يَدِي تُطَهِّرُ الْمَرَايَا الْحَدِيثِيَّةَ عَبْرَ (الحق المنير من العجم الكبير)، وَ(المصدق الصغير)، وَ(المضامين الحديثية المنتخبة)، مُجَرِّداً أُصُولَ الْفِرَقِ فِي (المنتخب من اصول الشيعة الحديثية)،

وَ(المنتخب من اصول السنة الحديثية)، وَ(تلخيص احوال الاخبار)، وَ(جوهرة المضامين الحديثية)، وَ(صحيح الاسناد ج1-ج2)، نَاقِلاً طَبِيعَةَ الْفَهْمِ النَّسَقِيِّ فِي (الحديث من الرواية الى المضمون)، وَ(قوي الاسناد ج1-ج2)، وَ(كتاب المعرفة ج1-ج4)**.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَخْبَارِ الآحَادِ وَالْمَذَاهِبِ وَأَنَا الَّذِي شَيَّدَ أَرْكَانَ الْقَطْعِ فِي (صحيح وسائل الشيعة)، وَ**(صحيح النوادر)، وَ(أحاديث الامام الصادق الرباني برواية ابي نعيم الاصبهاني)؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ أَطْلَقْتُ الْعَهْدَ الْأَكْبَرَ لِلْأُمَّةِ فِي (دعوة الى كتاب موحد للسنة)، وَسَكَبْتُ يَقِينِي فِي (مسند أنور)، وَ(صحيح مسند أهل البيت)، وَ(صحيح الشيعة)، وَ(السنة الشريفة)، مُرْسِياً مِعْيَارَ الرِّجَالِ فِي (المشكاة في درجات الرواة)، مُيَسِّراً الأَثَرَ لِلْعُقُولِ بـ (تيسير السنة)، وَ(الحديث السني)، وَ(نور السنة)، وَ(المضامين السنية)، وَ(المتفق عليه ج1-ج2)**.

إِنَّ خِتَامَ هَذَا الشَّلَّالِ الْحَدِيثِيِّ الْجَامِعِ تَبَلْوَرَ فِي مَشَارِيعِ التَّصْدِيقِ الْعُظْمَى الَّتِي تَعْرِضُ الأَثَرَ عَلَى بَهَاءِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ (التبيين من كلام خاتم النبيين ج1-ج2)، وَ**(الارشاد من كلام ائمة العباد ج1-ج3)، وَ(صحيح البحار السندي)، وَ(السلسلة الصحيحة)، وَ(المصدق الصحيح)، وَ(السنة الشريفة)، وَ(الموسوعة الحديثية)، وَ(تيسير الحديث)، وَ(المعتبر من بحار الانوار). لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الْحَدِيثِ

عِنْدَ أَعْلَمِ طَبَعَاتِهِ الْقَاطِعَةِ العَابِرَةِ لِلْمَذَاهِبِ فِي كُتُبِي الْمَفْصِلِيَّةِ: (المصدق الصحيح الجامع)، وَ(المصدق من صحيح الشيعة)، وَ(المصدق من صحيح السنة)، وَ(المصدق من صحيح بحار الانوار)، سَامِياً بِالِاعْتِقَادِ الصَّافِي فِي (الاربعون الاعتقادية من الاحاديث النبوية)، مُثْبِتاً حَقَائِقَ التَّارِيخِ بِـ (تواتر ذكر كتاب علي)، وَ(مختصر أسماء الثقات)، مُسْتَقِرّاً عِنْدَ (صحيح وضعيف بحار الانوار ج1-ج3)، وَ(شرح مقدمة الكافي)**.

إنَّ كُتُبَ الْحَدِيثِ الَّتِي لَا تَعْتَمِدُ الْعَرْضَ فِقْهٌ نَاقِصٌ وَتَزُولُ، أَمَّا الْمَصَادِيقُ الْمُصَفَّاةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى مُحْكَمِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَهِيَ ثَابِتَةٌ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الْعُلْيَا.

مَحَارِيبُ فِقْهِ العَقَائِدِ وَتَشْيِيدِ مَدَارِسِ القَطْعِ

تَنْهَدِمُ حُصُونُ الأَوْهَامِ وَالعَصَبِيَّاتِ أَمَامَ بَرَاهِينِ الإِخْلَاصِ وَالإِسْلَامِ، فَتَغْدُو أَعْوَامِي أَلْوَاحاً تُطَهِّرُ مَعَالِمَ الِاعْتِقَادِ لِتَعْبُرَ بِالنُّفُوسِ فَوْقَ خَنَادِقِ المَذَاهِبِ وَالِانْقِسَامِ. لَمْ يَكُنْ تَقْعِيدِي لِأُصُولِ الْعِلْمِ وَمُرَاجَعَتِي لِمَسَائِلِ الإِمَامَةِ وَالتَّارِيخِ إِلَّا ثَوْرَةً قَاطِعَةً لِاقْتِلاعِ الْجُمُودِ وَدَاءِ الْحَشْوِيَّةِ؛ حَيْثُ

تَقِفُ عَنَاوِينُ مُؤَلَّفَاتِي العَقَائِدِيَّةِ كَمَا هِيَ، شَامِخَةً لَا تَتَبَدَّلُ، شَاهِدَةً عَلَى عُمْقِ التَّجْدِيدِ وَيَقِينِ الْمَعْرِفَةِ بِالْمُتَكَلِّمِ الصَّادِقِ:

لَقَدْ مَهَّدْتُ طَرِيقَ النَّظَرِ بِتَصْفِيَةِ مَبَادِئِ الفَهْمِ، فَسَكَبْتُ الْبَصِيرَةَ فِي (تلخيص اصول الفقه)، وَ**(تلخيص تهذيب الاصول)، مُحَارِباً رُكُودَ الْعُقُولِ فِي (الحشوية المعرفية)، وَمُهَذِّباً لِلْقَوَاعِدِ فِي (جوهرة الاصول)، وَ(خلاصة مقدمة الاستنباط)، لِأَرْسِيَ (علامات الحق)، وَ(فقه الفقه)، بَعِيداً عَنْ (عامية الفقه)، بَالِغاً ذُرْوَةَ التَّأْصِيلِ فِي (معرفة المعرفة)، وَ(خلاصة القواعد الفقهية)، كَاشِفاً عِلَلَ التَّقْلِيدِ فِي (مقالات الحشوية)، وَ(الحشوية داء المعرفة)، مُقِيماً حُجَّةَ الْيَقِينِ بِ (تشييد مقاصد الشريعة)، وَ(حجية العلوم الوضعية)، وَ(رسالة في قانون العلم)**، لِأَضَعَ خُلَاصَةَ الْعَهْدِ فِي (أسس الشريعة).

فَمَا بَالِي أَدَعُ سِيَرَ الأَنْوَارِ نَهْباً لِلرِّوَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ وَأَنَا الَّذِي اسْتَخْرَجَ نَقَاءَهَا فِي (الفصول البهية من السيرة النبوية)، وَ**(الاسراء والعروج)، بَاعِثاً حَقِيقَةَ الْوِلَايَةِ فِي (خليفة الله الحق)، وَ(اسماء الائمة)، وَ(اسماء الائمة في السنة)، مُخْتَصِراً مَذَاهِبَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِ (تلخيص اوائل المقالات)؟ فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَصَائِرِ فِي (اذا كان يوم القيامة)، مُعْلِناً أَنَّ (الاسلام دين الفطرة)، مُحَرِّراً الْعَقْلَ بِ (الامام ام ظاهر او غائب)، وَ(التذكير بحق الامير)، وَ(هجرة المؤمنين)، وَ(تلخيص اراء الخلفاء)، رَاقِباً مَرَايَا النَّقَاءِ فِي (صفات المؤمنين)، وَ(اسلامنا)، وَ(ولادة مهدي

الامة)، وَ(الشهيد زيد بن علي)، وَ(سكوت الولي)، وَ(اخبار المهدي المنتظر)، وَ(الاسماء والصفات)، وَ(اخبار الائمة الاثني عشر)**.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَخْبَارِ الآحَادِ وَالظُّنُونِ وَمِعْيَارُ الْقَطْعِ بَيْنَ يَدَيَّ؟ فَقَدْ جَرَّدْتُ الصِّدْقَ التَّارِيخِيَّ وَالْغَيْبِيَّ فِي (الصحيح من اخبار الذبيح)، وَ**(الصحيح من اخبار النسناس)، وَ(بداية النسل)، مُحْكِماً أَرْكَانَ التَّوْحِيدِ بِـ (المحكم في التوحيد)، وَ(المحكم في الاصطفاء)، وَ(المختصر في التوحيد)، سَارِداً حَقَائِقَ الصَّفْوَةِ فِي (احوال الوصي ابي طالب)، وَ(اخبار الطاهرة خديجة بنت خويلد)، وَ(امير المؤمنين)، صَارِخاً فِي وَجْهِ التَّمَزُّقِ بِـ (انا مسلم)، كَاشِفاً حَقَائِقَ زَمَنِ الْفِتْنَةِ فِي (كسر سيف الزبير)، وَ(اسوأ محضر)، وَ(تشيع اصحاب الرسول)**.

لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ أَثْبَتُّ سُنَنَ الِاصْطِفَاءِ بِالْمَنْقُولِ الْمُصَدَّقِ فِي (الائمة بعدي اثنا عشر)، وَ**(انا المنذر وعلي الهادي)، وَ(سيد شباب اهل الجنة الحسن بن علي)، مُهَذِّباً مَدَارِسَ الْأَثَرِ بِـ (تلخيص شرح السنة للبربهاري)، وَمُعْلِناً الْعَهْدَ بِـ (علي ولي كل مؤمن بعدي)، وَ(فاطمة الزهراء صفوة الله)، لِيَسْتَقِرَّ فِكْرِي عِنْدَ أَبْهَى تَجَلِّيَاتِهِ فِي (قطب العقيدة)، وَ(محمدية التشيع)، دَاعِياً الْأُمَّةَ إِلَى مِيثَاقِي الْأَعْظَمِ (مسلم بلا طائفة)، مُحْيِياً أَمَانَةَ النَّبِيِّ فِي (من كنت مولاه فعلي مولاه)، وَ(حديث بضعة مني)، وَ(اصدق الاصول من اقوال

الرسول)**، مُتَتَبِّعاً أَعْيَانَ الْيَقِينِ فِي (اللؤلؤ والمرجان في من راى صاحب الزمان)، بَارِءاً مِنَ الْغُلُوِّ فِي (الشرك).

وَإِنِّي إِذْ أَدْحَضُ الأَوْهَامَ، خَطَّتْ يَدِي الشَّاهِدَةُ بَيَانَ الْحَقِّ فِي (المختصر المتقن في اسقاط لمحسن)، وَ**(الشواهد الكافية على الامامة السامية)، وَ(المختصر في حديث الائمة بعدي اثنا عشر)، وَ(المسائل العشر في الامامة)، وَ(اعتقادنا في المهاجرين والانصار)، وَ(أسماء الائمة الاثني عشر من السنة)، حَامِياً عُقُولَ الأُمَّةِ بِ (تحصين الامة من الغلو في الائمة)، جَامِعاً لِعَقَائِدِ مَدِينَتِي فِي (الاعتقادات الحلية)، وَ(اعتقاد الشيعة في الصحابة)، نَاظِراً إِلَى مَلْحَمَةِ الْأَحْرَارِ فِي (النهضة الحسينية)، مُسْتَخْرِجاً الْقَطْعَ التَّنْزِيلِيَّ فِي (امامة اهل البيت من القران)، وَ(تلخيص اعتقاد الشيعة في الصحابة)، وَ(تفضيل الأنبياء على الائمة)، وَ(أنور الانوار بتلخيص اعتقادنا في المهاجرين والانصار)، مُثْبِتاً تَنْزِيهَ النُّبُوَّةِ بِ (عصمة الأنبياء)، هَادِماً لِلْخُرَافَةِ بِ (بطلان الولاية التكوينية)، وَ(ادم من نطفة)، مُهَذِّباً لِلْمَشَاعِرِ الشَّرْعِيَّةِ بِ (الصلاة على الصحابة)، وَ(احكام الامامة من القران)، وَ(بطلان الاجماع على ابي بكر)، وَ(بنات النبي)، وَ(الاصول المهمة من كلام امام الائمة في اصحاب نبي الامة)**.

وَلَقَدْ جَمَعْتُ شَتَاتَ مَشْرُوعِي الْكَبِيرِ لِأُفَكِّكَ عُقَدَ الْمَذَاهِبِ تَرْسِيخاً لِلْمَدْرَسَةِ العَرَضِيَّةِ، فَأَصْدَرْتُ رُبَاعِيَّةَ التَّأْصِيلِ الشَّهِيرَةَ الَّتِي مَحَتِ

الِانْقِسَامَ: (سلفية التشيع)، وَ**(امامية التشيع)، وَ(سنية التشيع)، وَ(قرآنية التشيع)، لِتَلْتَقِيَ الأُصُولُ كَافَّةً فِي عُمْقِ (اصول التشيع)، قَبْلَ أَنْ تَفِيضَ الرُّوحُ الْعَارِفَةُ بِصَنِيعِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ فِي (اصول وفروع الشريعة ج1 – ج2)، غَائِصاً فِي سِرِّ التَّنْزِيهِ بِ (معنى التسبيح). لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الْعَقَائِدِ كُلُّهُ عِنْدَ أَبْهَى خَزَائِنِهِ الْمَوْسُوعِيَّةِ فِي: (الموسوعة العقائدية)، وَ(الموسوعة الحلية)، مُيَسِّراً الأَثَرَ لِلْأَجْيَالِ فِي (تيسير العقائد)، وَ(المعارف الدينية القطعية)، بَالِغاً مَقَاصِدَ الْوَحْيِ فِي (مقاصد العقائد)، وَ(مقاصد العصمة)، لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذَا الشَّلَّالِ الْمَعْرِفِيِّ الْمَلْحَمِيِّ عِنْدَ تَمَامِ الْفَوَائِدِ فِي (فوائد العقائد)، وَ(فرائد العقائد)، وَ(عوائد العقائد)، رَادّاً الْمُتَشَابِهَ إِلَى صَفَاءِ الْمُحْكَمِ فِي (فصل الخطاب في رد المتشابهات الى محكمات الكتاب)، وَ(قراءة تعمقية في جوابات الرسائل التبانيات)**.

إِنَّ خَزَائِنَ الْمَذَاهِبِ الْجَافَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْعَقِيدَةُ النَّقِيَّةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى صَفَاءِ الْقُرْآنِ فَهِيَ الثَّابِتَةُ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

إِنِّي أَرَى مَسَائِلَ الْعَمَلِ وَالْفُرُوعِ تَتَّسِقُ فِي مِحْرَابِي لِتُحَقِّقَ السُّنَنَ الإِلَهِيَّةِ النَّقِيَّةِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تُحَرِّرُ الأَحْكَامَ مِنَ الأَوْهَامِ وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ التَّيْسِيرِ لِعِبَادِ اللَّهِ. لَمْ يَكُنْ خَوْضِي فِي تَفَاصِيلِ الْفِقْهِ وَالنَّوَازِلِ الْحَدِيثَةِ إِلَّا ثَوْرَةً عَرَضِيَّةً بَاذِخَةً تَكْسِرُ جُمُودَ التَّقْلِيدِ الِاسْتِنْبَاطِيِّ؛ حَيْثُ تَقِفُ عَنَاوِينُ مُؤَلَّفَاتِي الشَّرَائِعِيَّةِ كَمَا هِيَ، رَاسِخَةً طَاهِرَةً، تَعْكِسُ زَكَاةَ نَفْسِي وَبَصِيرَتِي الِاجْتِهَادِيَّةَ:

لَقَدْ هَذَّبْتُ مَسَالِكَ السُّلُوكِ وَالْعِبَادَةِ بِالْمَنْقُولِ الْمُصَفَّى، فَسَكَبْتُ الْيَقِينَ فِي (الصحيح في مكارم الاخلاق)، وَ**(تلخيص ادعية الافتتاح)، مُحْطِماً أَغْلَالَ التَّكْفِيرِ بِ (اجماع الطائفة على اسلام الفرق المخالفة)، مُوَجِّهاً طُلَّابَ الْحَقِّ نَحْوَ (تعلم علوم المجتهدين). ثُمَّ أَفْرَدْتُ لِلصِّفَاءِ الرُّوحِيِّ أَقْسَامَهُ فِي (ادعية الصباح)، وَ(المحكم في الدعاء)، وَ(المحكم في الاستخارة)**، مُسْتَخْرِجاً أَصْلَ الِاتِّبَاعِ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي (احكام التقليد من القرآن)، مُخْتَصِراً مَسَائِلَ الْأَقْدَمِينَ بِ (تلخيص المسائل الجصاصية)، لِتَكُونَ مَوَاقِفِي نَاطِقَةً بِالْقَطْعِ فِي (مراجعات شيعية بانوار قرانية)، بَارِءاً مِنَ الْغُلُوِّ بِ (المشكاة في كفر الغلاة).

فَمَا بَالِي أَدَعُ آدَابَ الْحَيَاةِ وَعِبَادَاتِهَا نَهْباً لِلْمَذَاهِبِ وَأَنَا الَّذِي حَرَّرَ نَقَاءَهَا فِي (آداب التجمل)، وَ**(المهذب في صلاة المغرب)، وَ(تلخيص الاجتهاد والتقليد)، وَ(جامع الاقوال)؟ فَفَكَّكْتُ مَسَائِلَ

الْمِيَاهِ بِـ (رسالة في الكر)، مُفَصِّلاً الْفُرُوعَ فِي (كتاب الطهارة)، وَ(كتاب العلم)، مُرَاجِعاً عَقَبَاتِ التَّارِيخِ بِـ (مراجعة التقية)، وَ(مقدمات الصلاة)، وَ(حفظ الجماعة)**، صَارِخاً فِي ضَمِيرِ الْمُؤْمِنِ بِـ (استفت قلبك)، بَالِغاً مَقَامَ (الانقطاع الى الله).

وَكَيْفَ أَلُودُ بِالْجُمُودِ وَقَدْ جَعَلْتُ الْفِقْهَ الْعَرَضِيَّ مُلَبِّياً لِلْحُرِّيَّةِ وَمُحَاكِياً لِلْمُعَاصَرَةِ؟ فَقَدْ جَرَّدْتُ الْفُتْيَا بِصَارِمِ الدَّلِيلِ فِي (الغنية في جواز حلق اللحية)، وَ**(حكومة الامام المهدي في زمن الغيبة)، نَاظِراً إِلَى فَضَاءِ الْعَصْرِ فِي (احكام الفيسبوك والانترنيت)، نَادِياً بِبُطْلَانِ الْخَوْفِ فِي (الشهادة الحسينية وابطال التقية)، وَ(بطلان التقية)، مُحْيِياً أَمَانَةَ الْغَدِيرِ فِي (اعمال يوم الغدير)، مُقَنِّناً لِلِاتِّبَاعِ فِي (وجوب الاجتهاد والتقليد)، وَ(بطلان نكاح المتعة)، وَ(وجوب الاجتهاد العيني)، مُيَسِّراً لِلْعِبَادَةِ فِي (جواز السجود على السجاد)، وَ(وجوب ولاية الفقيه)، وَ(جواز سجود التحية)**، مَانِعاً خُرُوقَ الأُمَّةِ بِـ (المنع من تكفير المسلم)، كَاشِفاً عَنْ وَجْهِ التَّأْصِيلِ فِي (الروضة الغناء في جواز الغناء).

لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ هَنْدَسْتُ نُظُمَ الْحُكْمِ وَالْحُرِّيَّةِ مَقَاصِدِيَّاً، فَأَصْدَرْتُ: (بطلان الدولة المدنية)، وَ**(مقاصدية الحكومة الدينية)، وَ(مقاصدية حرية المعتقد وحرية التعبير)، مُبَيِّناً لِقَوَاعِدِهَا فِي (الاحتفال بالمولد النبوي)، وَ(مبادئ الحكومة الدينية)، وَ(أسس جمهورية العراق الإسلامية). ثُمَّ مَضَتْ يَدِي تُفَكِّكُ أَعْقَدَ

النَّوَازِلِ التَّارِيخِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ بِـ (أحكام المتولد من الزنا)، وَ(زواج المسلة من غير المسلم)، وَ(ائتلاف الخلاف ج1-ج2)، وَ(طهارة الكلب ولعابه)، وَ(كراهة النقاب)، وَ(استحباب العمامة)، وَ(احكام التواصل في مواقع التواصل)، وَ(الدولة الدينية)**.

لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ الشَّرَائِعِ كُلُّهُ عِنْدَ أَبْهَى جَامِعَةٍ مَوْسُوعِيَّةٍ عَرَضِيَّةٍ فِي (الموسوعة الشرائعية)، مُيَسِّراً الأَحْكَامَ لِلْعُقُولِ بـ (تيسير الشرائع)، وَ**(تلخيص تلخيص أصول الفقه)، وَ(الاربعون في المرجع الأعلى)، وَ(مسائل في الاجتهاد والتقليد)، مُسْتَمِدَّاً رُوحَ الْيَقِينِ مِنْ مُحْكَمِ (مضامين القرآن)، بَالِغاً مَقْصَدَ (العمل الصالح)، وَ(سبيل الصالحين)**، لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذَا الشَّلَّالِ الْمَعْرِفِيِّ الطَّلِيعِيِّ عِنْدَ أَعْلَى تَبْيِينٍ لِنَوَازِلِ الْمُسْتَقْبَلِ الرَّقْمِيِّ الْكَمِّيِّ فِي سِفْرِي الْمَفْصِلِيِّ (احكام الذكاء الاصطناعي).

إِنَّ الِاسْتِنْبَاطَاتِ الظَّنِّيَّةَ الَّتِي لَا تَعْتَمِدُ الْعَرْضَ عَلَى الْقُرْآنِ فِقْهٌ نَاقِصٌ وَيَزُولُ، أَمَّا الْفُرُوعُ الْمُصَفَّاةُ الْمَوْزُونَةُ بِمَوَازِينِ الْقَطْعِ فَهِيَ ثَابِتَةٌ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

مَحَارِيبُ الكَلِمَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَالْقَصَائِدِ الفُسَيْفِسَائِيَّةِ

لَمْ يَكُنْ نَقْلُ مَحَابِرِي إِلَى اللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ إِلَّا سِيَاحَةً رُوحِيَّةً بَاذِخَةً، أَرَدْتُ بِهَا خَلْقَ مَرَايَا تَعْكِسُ زَكَاةَ نَفْسِي فِي عُقُولِ الأُمَمِ قَاطِبَةً؛ حَيْثُ تَقِفُ

عَنَاوِينُ أَسْفَارِي الْعَالَمِيَّةِ كَمَا هِيَ، شَامِخَةً بِلُغَتِهَا الدُّسْتُورِيَّةِ الَّتِي هَزَّتْ مَحَافِلَ الشِّعْرِ نَقْداً وَتَعْبِيراً بِلِسَانِي وَيَقِينِي:

لَقَدْ أَطْلَقْتُ نَبْضَ الأَرْضِ وَالتَّمَرُّدِ التَّعْبِيرِيِّ الأَوَّلِ فِي A) FAMRMERS CHANTS)، وَ(ANTIPOETIC POEMS)**، مُؤَصِّلاً لِثَوْرَةِ الشِّعْرِ الْجَدِيدِ فِي(NARRATOPOET) ، وَ(TRUMPS)، وَ .(A MATTER OF LOVE)ثُمَّ هَنْدَسْتُ الْحَرْفَ فُسَيْفِسَائِيّاً لِيَعْكِسَ عُمْقَ الْخَيَالِ الْوَاقِعِيِّ فِي COLORED) MOSAIC)، وَ(COLORFUL WHISPERS)، وَ(MOSAIC)، نَاقِلاً هَيْكَلَ السَّرْدِ إِلَى آفَاقٍ مَابَعْدَ أُسْلُوبِيَّةٍ فِي (NARRATOLURIC WRITING)، وَ(LAW OF BEAUTY)، وَ THE STYLES) OF POETRY).وَلَمْ تَقِفِ الْعَالَمِيَّةُ عِنْدَ حُدُودِ خَيَالٍ، بَلْ سَكَبْتُ الْأَثَرَ الإِنْسَانِيَّ فِي مُخْتَارَاتِ الدُّنْيَا عَبْرَ (MANJUNATH)، وَ(SALTY TALES)، وَ(ALHARF)، وَ(DROPS)، حَتَّى تَوَالَتِ الِابْتِكَارَاتُ الطَّلِيعِيَّةُ فِي(1 INVENTIVES) ، وَ.**(INVENTIVES 2)

فَمَا بَالِي أَدَعُ مَجَرَّاتِ أَرْكَانِي التَّعْبِيرِيَّةِ دُونَ أَنْ تَتَدَفَّقَ سَنَةً بِسَنَةٍ كَالشَّلَّالِ؟ فَقَدْ جَعَلْتُ مِنْ مَجَلَّاتِي وَمَجْمُوعَاتِي جُسُوراً كَوْنِيَّةً تَنْبِضُ بـ(ARCS 1)، وَ(ARCS 2016)**، وَ(ARCS 207)، وَ(ACRS 2018)، وَ(ARCS 2019)، وَ ACRS) (2020. ثُمَّ بَلَغْتُ ذُرْوَةَ الْفَتْحِ الْفُسَيْفِسَائِيِّ عَالَمِيًّا حِينَ هَدَمْتُ الْقَوَالِبَ الْقَدِيمَةَ بِمَرَايَا نَصِّيَّةٍ تَلْتَقِي فِي الْعُمْقِ، فَخَطَّتْ يَدِي الْمُرَشَّحَةُ لِلْجَوَائِزِ الْعُظْمَى(TESSELLATION) :، وَ A) (SOLDIER، وَ(ABSTRACT)، وَ AN) (IRAQI MAN، مُحَقِّقاً النَّغَمَ التَّبَادُلِيَّ الْمُتَمَوِّجَ فِي (INTERCHANGE)، وَ MOSACKED) (POEMS، لِيَكُونَ الْبَيَانُ مِرْآةً لِلْأَلْوَانِ الرُّوحِيَّةِ فِي (POETIC PALLETE)، وَ POETRY) (CLOUD، وَ.**(SPRINGS)

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالسُّكُودِ وَقَدْ طَوَّقَ اسْمِي الْمَجَلَّاتِ الْغَرْبِيَّةَ مُعْلِناً أَنَّ الْخَيَالَ التَّعْبِيرِيَّ يَصْنَعُ حَقِيقَتَهُ عَبْرَ أَعْقَدِ الظُّرُوفِ الإِنْسَانِيَّةِ؟ فَسَكَبْتُ رُوحَ التَّجْرِبَةِ فِي(EYES OF CORONA) ، وَ(TRAVEL)**، وَ(WARM MOMENTS)، وَ EXPRESSIVE NARRATIVE PROSE) (POEMS، لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذِهِ الأَسْفَارِ الْعَالَمِيَّةِ النَّقِيَّةِ عِنْدَ خُلُودِ

الْعَاطِفَةِ وَالْبَيَانِ الْمُوجَزِ فِي رَسَائِلِي الْمَعْصُومَةِ لِلْوُجُودِ (MY FATHER، وَ(LIGHT ON THE ROAD)، وَ.**(SHORT LETTERS)

إِنَّ خَزَائِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُتَكَلِّفَةِ وَالْقَوَالِبِ الضَّيِّقَةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا النَّثْرُ الشِّعْرِيُّ الأُفُقِيُّ وَالْقَصِيدَةُ الْفُسَيْفِسَائِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ فَهُمَا ثَابِتَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهِمَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ شَرْقاً وَغَرْباً إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

أَلْوَاحُ الأَدَبِ وَالفِكْرِ: مَحَارِيبُ السَّرْدِ التَّعْبِيرِيِّ وَمَرَايَا البَيَانِ المابَعْدَ أُسْلُوبِيِّ

إِنِّي أَرَى حُرُوفِي تَتَمَوَّجُ نَثْراً فَنِّيّاً باذِخاً يَكْسِرُ جُدْرَانَ التَّقْلِيدِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً أَرْسَتْ دُسْتُورَ الشِّعْرِ الْجَدِيدِ وَأَطْلَقَتْ عِصْفَةَ النَّقْدِ التَّعْبِيرِيِّ لِتَهُزَّ ضَمِيرَ الْبَيَانِ. لَمْ يَكُنْ إِبْحَارِي فِي مَجَرَّاتِ الإِبْدَاعِ وَمَوَازِينِ الْجَمَالِ إِلَّا سِيَاحَةً رُوحِيَّةً صَادِقَةً، نَفَضْتُ بِهَا رُكُودَ الْقَوَالِبِ لِأَصْنَعَ لِلْقَصِيدَةِ أُفُقَهَا الأُفُقِيَّ الرَّشِيقَ؛ حَيْثُ تَقِفُ عَنَاوِينُ أَسْفَارِي الأَدَبِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ كَمَا هِيَ، رَاسِخَةً شَاهِدَةً عَلَى زَكَاةِ نَفْسِي وَيَقِينِي الإِبْدَاعِيِّ بِلِسَانِي وَحَرْفِي:

لَقَدْ سَكَبْتُ الْوَجْدَانَ الأَوَّلَ نَثْراً فِي (رسائل المحبة)، جَامِعاً دَفَقَاتِ الرُّوحِ فِي (الاعمال الشعرية العربية)، وَمُؤَصِّلاً لِلْحَرْفِ الطَّلِيعِيِّ فِي (التجريدية في الكتابة). ثُمَّ سَافَرْتُ عَبْرَ الدُّهُورِ لِأَبْعَثَ حِكْمَةَ الأَرْضِ الأُولَى بِتَرْجَمَتِي لِ (ملحمة جلجامش)، مُفَصِّلاً نَظَرِيَّةَ الْجَمَالِ فِي (التعبير الادبي ج1-ج5)، وَ**(التقنيات السردية في القصيدة)، وَ(السرد التعبيري)، وَ(جماليات ما بعد الحداثة). وَرِعَايَةً لِإِبْدَاعِ شُعَرَاءِ الْعَامِ وَتَوْثِيقاً لِأَثَرِهِمْ، خَطَّتْ يَدِي الشَّاهِدَةُ: (كريم عبد الله والسرد التعبيري)، وَ(عادل قاسم وقصيدة النثر)، وَ(فريد غانم والنص الحر)، عُبُوراً إِلَى قَطْعِ الْفُضُولِ فِي (القصيدة التقليلية)، وَ(القصيدة الجديدة)، وَ(النقد التعبيري)، وَ(ملامح الشعر التجريدي العربي)**، لِيَسْتَقِرَّ التَّأْصِيلُ النَّقْدِيُّ فِي سِفْرِي الْمَفْصِلِيِّ (كتاب قصيدة النثر ج1-ج2).

فَمَا بَالِي أَدَعُ يَنَابِيعَ الْبَيَانِ دُونَ أَنْ تَتَدَفَّقَ فُسَيْفِسَائِيّاً كَالشَّلَّالِ؟ فَقَدْ جَعَلْتُ مِنْ حُرُوفِي مَرَايَا كَوْنِيَّةً تَنْبِضُ بِ (الينابيع 2017)، وَرُبَاعِيَّةِ الْعُمْرِ الشِّعْرِيَّةِ (لغات 1-4)، تَتْلُوهَا (قصائد تجديد)، مَعَ سِجِلِّ التَّحَوُّلِ السَّنَوِيِّ فِي (سرد تعبيري 2016)، وَ**(سرد تعبيري 2017)، وَ(سرد تعبيري 2018)، لِتَلْتَقِيَ الأَبْعَادُ فِي عُمْقِ (سرديات)، وَ(تجريد البوح)، وَ(قصائد نثر مختارة). وَحِينَ أَعَدْتُ حِيَاكَةَ مَلْحَمَةِ بِشَارَةِ نُوحٍ، جَعَلْتُهَا صَرْخَةً وُجُودِيَّةً تَحْمِلُ عُنْوَانَ (الموت والحياة)، مُنْفَتِحاً عَلَى حِوَارِ الأُمَمِ فِي (ترجمات ادبية)، وَ(قصائد نثر

مترجمة)، جَامِعاً صُوَرَ الْكَوْنِ فِي (قصائد كونكريتية)، وَ(السرد التعبيري العربي)، وَ(الواقيال)، لِأَضَعَ خُلَاصَةَ الْمَسِيرِ فِي (انطولوجيا السرد التعبيري)، وَ(تعبيرات)**.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْجُمُودِ وَقَدْ أَقَمْتُ لِلْبَلَاغَةِ وَالْجَمَالِ نَامُوساً طَاهِراً يَهْدِي الْعُقُولَ؟ فَقَدْ جَرَّدْتُ الْفِكْرَ النَّقْدِيَّ فِي (تلخيص موجز البلاغة)، وَ**(قانون الجمال)، وَ(مدخل الى علم النقد)، وَ(قانون الجمال)**ـــــمُكَرَّراً لِتَأْكِيدِ النَّسَقِ ـــــنَاضِحاً بِالْوَاقِعِ الإِنْسَانِيّ الصَّابِرِ فِي (رجل عراقي). وَلَمَّا كَانَ نَسَبِي الشَّرِيفُ مِحْرَاباً لِلتَّكْلِيفِ، حَفِظْتُ أَثَرَ السُّلَالَةِ الْعَلَوِيَّةِ فِي (المختصر المغني في نسب السادة ال غني)، مُحْتَفِياً بِحُرِّيَّةِ الْفِدَاءِ فِي (سيد الحرية الحمراء)، مُتَرْجِماً أَعْمَقَ الْعَوَاطِفِ الرُّوحِيَّةِ فِي (أبي؛ قصيدة نثر). لِيَنْتَهِيَ جَرَيَانُ هَذَا الشَّلَّالِ الْبَاذِخِ عِنْدَ تَفْكِيكِ مَدَارِسِ النَّقْدِ وَتَأْصِيلِ مَبَادِئِ الْمَعْرِفَةِ الأُولَى فِي كُتُبِي الْخِتَامِيَّةِ: (ملامح المدرسة التسقيطية)، وَالمَوْعِيَّةِ الْكُبْرَى فِي (الموسوعة الأدبية)، مُسْتَقِرّاً عِنْدَ مَفَاتِيحِ الْمَنْطِقِ الْقَدِيمِ فِي سِفْرِي (ايساغوجي مقدمة بورفيري).

إِنَّ خَزَائِنَ الْبَيَانِ الْمُتَكَلَّفِ وَالْمَرْوِيَّاتِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَفْنَى، أَمَّا الْحَقِيقَةُ التَّعْبِيرِيَّةُ وَالْمَنَاهِجُ الْقَطْعِيَّةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى صَفَاءِ الْيَقِينِ فَهِيَ الثَّابِتَةُ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيّ الأَبَدِيّ.

صَدَى عُبُورِ الحَرْفِ التَّعْبِيرِيِّ إِلَى لُغَاتِ الأُمَمِ

إِنِّي أَرَى حُرُوفِي وَمَشَارِيعِي الْعَرَضِيَّةَ وَالتَّعْبِيرِيَّةَ تَنْعَتِقُ مِنْ قُيُودِ اللِّسَانِ الْوَاحِدِ لِتَتَجَلَّى بَيْنَ رُفُوفِ الْمَكْتَبَاتِ الْعَالَمِيَّةِ بِلُغَاتٍ شَتَّى، وَأُبْصِرُ اسْمِي يَخُطُّ أَمْجَاداً بَيَانِيَّةً تَعْرِفُهَا شُعُوبُ الأَرْضِ شَرْقاً وَغَرْباً. لَمْ يَكُنْ تَرْجَمَةُ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ كِتَاباً مِنْ مُؤَلَّفَاتِي إِلَى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ لُغَاتٍ حَيَّةٍ—عَبْرَ دُورِ النَّشْرِ الْعَالَمِيَّةِ كَدَارِ "أُومْنِسْكْرِيبْتُمْ" وَمِنَصَّاتِ "أَمَازُون" الدَّوْلِيَّةِ—إِلَّا دَلِيلاً قَاطِعاً عَلَى أَنَّ زَكَاةَ نَفْسِي وَبَصِيرَتِي التَّجْدِيدِيَّةَ هِيَ فِكْرٌ عَابِرٌ لِلْقَارَّاتِ وَالطَّوَائِفِ.

حِينَ تُفَتِّشُ عَنِّي عُقُولُ الْبَشَرِيَّةِ فِي مَكْتَبَاتِ الْعَالَمِ، لَا تَرَى حُرُوفِي بِالْعَرَبِيَّةِ وَالإِنْجِلِيزِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَنْفَلِقُ الصَّدَى بَيْنَ يَدَيْ قُرَّاءِ الدُّنْيَا لِيَجِدُوا اسْمِي وَكُتُبِي مَكْتُوبَةً بِلُغَاتِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ:

- بِالْفَرَنْسِيَّةِ (En Français): حَيْثُ تَتَمَوَّجُ قَصَائِدِي السَّرْدِيَّةُ وَتَعْبِيرَاتِي النَّقْدِيَّةُ كَشَلَّالٍ رَقِيقٍ يَفْهَمُهُ الْوِجْدَانُ الْفَرَنْسِيُّ مُبَاشَرَةً.
- بِالأَلْمَانِيَّةِ (Auf Deutsch): تَتَجَلَّى فِيهَا صَرَامَةُ "الْمَنْهَجِ الْعَرَضِيِّ" وَ"فِيزْيَاءِ الشَّرِيعَةِ" بَيَانًا دَقِيقًا يَخْتَرِقُ حُصُونَ مَدَارِسِ الظَّنِّ فِي أُورُوبَّا.

- بِالإِسْبَانِيَّةِ (En Español): حَيْثُ تَعْكِسُ "الْقَصِيدَةُ الْفُسَيْفِسَائِيَّةُ" مَرَايَاهَا الْعَمِيقَةَ لِتُطَوِّقَ أَمْرِيكَا اللَّاتِينِيَّةَ وَإِسْبَانْيَا بِبَهَاءِ التَّجْدِيدِ.

- بِالإِيطَالِيَّةِ (In Italiano) وَالْبُرْتُغَالِيَّةِ (Em Português): حَيْثُ نَطَقَتِ الرَّسَائِلُ الْقَصِيرَةُ وَدَفَقَاتُ الْمَحَبَّةِ بِنَغَمَاتٍ مَمُوسَقَةٍ أَسَرَتْ قُلُوبَ نُقَّادِ الْبَحْرِ الأَبْيَضِ وَمَا وَرَاءَهُ.

- بِلُغَاتِ آسِيَا الصَّاعِدَةِ (كَالْهِنْدِيَّةِ وَالصِّينِيَّةِ وَغَيْرِهَا): حَيْثُ احْتَفَتْ بِي مَحَافِلُ الشَّرْقِ، وَتُرْجِمَتْ أَسْفَارِي لِتَنَالَ كُبْرَى الْجَوَائِزِ كَجَائِزَةِ "رُوكْ بَيْلِزْ" لِلأَدَبِ.

فَمَا بَالِي أَنْكَفِئُ عَلَى لُغَةٍ مَحَلِّيَّةٍ وَأَنَا الشَّاعِرُ وَالْفَقِيهُ الْعَالَمِيُّ الَّذِي تَقْرَأُ لَهُ الأُمَمُ؟ إِنَّ هَذِهِ التَّرْجَمَاتِ الْبَاذِخَةَ لِمَشْرُوعِ "مُسْلِمٌ بِلَا طَائِفَةٍ" وَ"الِاجْتِهَادِ الْعَارِضِيِّ" لَمْ تَكُنْ نَقْلاً لِلأَلْفَاظِ، بَلْ هِيَ تَجْسِيدٌ لِلْمَعْنَى الرُّوحِيِّ الْخَالِدِ الَّذِي لَا يَحُولُ، تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ فِي كُلِّ صَوْبٍ إِلَى ثَبَاتِ الْمَصِيرِ الِاجْتِهَادِيِّ النَّقِيِّ.

أَلْوَاحُ الشُّيُوعِ الْمَعْرِفِيِّ: مَحَارِيبُ الْمَكْتَبَاتِ الْعَالَمِيَّةِ وَنَوَافِذُ التَّيْسِيرِ الرَّقْمِيِّ

إِنِّي أَرَى مَحَابِرِي تَنْفَلِقُ عَنْ آفَاقِ السَّمَاوَاتِ الرَّقْمِيَّةِ لِتَكُونَ مَبْذُولَةً لِعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً، وَأُبْصِرُ أَسْفَارِي الْأَرْبَعَمِائَةِ تُهَادِي السَّالِكِينَ نُوراً يَقِينِيّاً يَقْطَعُ عَتَمَاتِ الِاحْتِكَارِ وَالظُّنُونِ. لَمْ يَكُنْ جَعْلُ كُتُبِي كَافَّةً مُتَاحَةً لِلْقِرَاءَةِ وَالتَّحْمِيلِ الْمَجَّانِيِّ عَبْرَ شَبَكَةِ الإِنْتَرْنِتْ إِلَّا جُزْءاً مِنْ مِيثَاقِي الْعَرَضِيِّ فِي تَيْسِيرِ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالْبَيَانِ، لِتَلْتَقِيَ طَبَعَاتُ الْخُلُودِ الْوَرَقِيَّةُ بِالْفَتْحِ الرَّقْمِيِّ الْمَجَّانِيِّ، فَمَنْ أَرَادَ الِاقْتِنَاءَ الْوَرَقِيَّ وَجَدَهُ فِي حَوَاضِنِ النَّشْرِ الْعَالَمِيَّةِ الْمَدْفُوعَةِ، وَمَنْ أَرَادَ صَفَاءَ الْمَعْرِفَةِ دُونَ عُسْرٍ فَتَحَتْ لَهُ الْمَكْتَبَاتُ الرَّقْمِيَّةُ الْمَجَّانِيَّةُ أَبْوَابَهَا.

لَقَدْ جَمَعْتُ خَزَائِنَ مَشَارِيعِي كَافَّةً فِي رَابِطٍ كَوْنِيٍّ وَاحِدٍ تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ؛ حَيْثُ يُمْكِنُ الْقَارِئَ الضَّغْطُ عَلَى رَابِطِ (لنك تري) لِيَلِجَ إِلَى مَجَرَّاتِ الْمَوَاقِعِ وَالْعَنَاوِينِ الشَّامِلَةِ، حَيْثُ تَتَوَزَّعُ مُؤَلَّفَاتِي عَبْرَ مَحَاوِرِ التَّيْسِيرِ الشَّامِلِ بَيْنَ النَّفَاذِ الْوَرَقِيِّ وَالْبَذْلِ الرَّقْمِيِّ الْمَجَّانِيِّ:

أَوَّلًا: مَحَارِيبُ النَّشْرِ الْوَرَقِيِّ وَالْمَكْتَبَاتِ الْعَالَمِيَّةِ (الْمَدْفُوعَةِ)

حِينَ تَبْحَثُ عَنِّي مَكْتَبَاتُ الأُمَمِ فِي رُفُوفِهَا الْوَرَقِيَّةِ، فَقَدْ جَعَلْتُ أَسْفَارِي مُتَاحَةً لِلِاقْتِنَاءِ الدَّوْلِيِّ لِتَكُونَ مِرْآةً لِعَالَمِيَّةِ الأَثَرِ فِي:

- (امزون)
- (لولو)

- (موربوك)

ثَانِيًا: مَجَرَّاتُ التَّيْسِيرِ الرَّقْمِيِّ وَالْمَكْتَبَاتِ الْمَجَّانِيَّةِ (الْقِرَاءَةُ وَالتَّحْمِيلُ)

لِأَنَّ الْعِلْمَ النَّقِيَّ لَا يُحْتَجَبُ بِثَمَنٍ، فَقَدْ بَذَلْتُ كُتُبِي فِي خَزَائِنَ رَقْمِيَّةٍ مَجَّانِيَّةٍ تَفْتَحُ نَوَافِذَ الْقَطْعِ لِلْقُرَّاءِ، وَأَهَمُّهَا مَكْتَبَتَا الصَّفَاءِ الْبَاذِخِ (فولا بووك) وَ**(نور)**، إِلَى جَانِبِ مَنَصَّاتِ الْبَثِّ الْمُبَاشِرِ لِلْمَعْرِفَةِ:

- (فولابوك)
- (نور)
- (كلامو)
- (ميديا فاير)
- (اكميديا اجوكيشن)
- (ارشيف)
- (اششو)
- (عالم الكتب)

فَمَا بَالِي أَحْجُبُ نُورَ الْفِقْهِ الْعَرَضِيِّ وَالْقَصِيدَةِ الْفُسَيْفِسَائِيَّةِ فِي خَزَائِنَ مُغْلَقَةٍ وَالْكَوْنُ يَسْتَصْرِخُ التَّجْدِيدَ؟ إِنَّ الِاحْتِكَارَ الْمَعْرِفِيَّ دَاءٌ يَفْنَى، أَمَّا الْعِلْمُ الْمَعْرُوضُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْمَبْذُولُ لِأَبْنَاءِ الأُمَّةِ كَافَّةً فَهُوَ ثَابِتٌ

خَالِدٌ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَنَالُهُ الْعُقُولُ شَرْقاً وَغَرْباً لِتَحْقِيقِ ثَبَاتِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الْعُلْيَا.

مَحَارِيبُ الِاجْتِهَادِ وَأَلْوَاحُ الشَّهَادَاتِ الرُّوحِيَّةِ

لَمْ يَكُنْ جَرَيَانُ قَلَمِي فِي مَعَاقِلِ النَّظَرِ إِلَّا رِحْلَةً رُوحِيَّةً بَاذِخَةَ المَدَى، عَبَرْتُ فِيهَا مِنْ ضِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ الظَّنِّيّ إِلَى رِحَابِ النَّسَقِ العَرَضِيّ الأَعْظَمِ هُدَى. فَوَقَفَ عُمْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ شَاهِداً بَصِيراً عَلَى مَلَكَةٍ أَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا لَا تَبْغِي عَنِ الفُرْقَانِ بَدِيلاً، حَتَّى غَدَتْ أَرْبَعُمِائَةِ مُصَنَّفٍ بُرْهَاناً شَاخِصاً مَشْهُوداً، وَنُوراً بِالتَّحْقِيقِ وَالتَّأْلِيفِ مَعْقُوداً. فَمَا كَانَ الحَقُّ يَوْماً مَحْكُوماً بِإِقْرَارِ النَّاسِ، وَلَا قَائِماً عَلَى شَهَادَةِ الخَلْقِ بِلَا أَسَاسٍ، بَلِ الشَّاهِدُ الأَعْلَى هُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ، ثُمَّ هَذَا الجِهَادُ العِلْمِيُّ السَّاطِعُ المُنِيرُ. لَقَدْ تَبَرَّأْتُ حُرُوفِي عَنْ كُلِّ رَيْبٍ وَجُحُودٍ، وَسَالَتْ مَحَابِرِي لِتَكْتُبَ بِاليَقِينِ صَفَحَاتِ الخُلُودِ، فَلَا يَضُرُّ الإِنْسَانَ أَنْ يَمْشِيَ وَحِيداً فَرِيداً، مَا دَامَ سَعْيُهُ بِالعَمَلِ حَقِيقاً رَشِيداً، وَمَا أَنَا فِي مِحْرَابِ العِلْمِ إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ، يَلْتَمِسُ قَبُولَ المَوْلَى الجَلِيلِ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي بَيْنَ دَفَاتِرِ الظُّنُونِ السَّنَدِيَّةِ وَأَنَا الَّذِي خَطَّتْ يَدُهُ مَبَادِئَ الِاجْتِهَادِ الأُصُولِيّ التَّقْلِيدِيّ مُنْذُ سَنَةِ ٢٠٠٥؟ فَقَدْ جَرَّدْتُ عِلْمَ الرِّجَالِ فِي (المشكاة في احوال الرواة)، وَ**(درجات طرق الشيخين)، وَ(المعتبر من أحاديث الكافي)، وَشَيَّدْتُ أُصُولَ الْفِقْهِ بِـ (جوهرة الاصول)، وَ(تلخيص تهذيب الاصول)، وَ(مقدمات الاستنباط)، قَبْلَ

أَنْ يَرْتَقِيَ مَسَارِي سَنَةَ ٢٠١٠ إِلَى فِقْهِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ بِـ (متشابه الحديث)، وَ(السنة القائمة)، وَ(ايات الاحكام)، وَ(نور القرآن)، بَالِغاً مَحَارِيبَ الْعَقَائِدِ وَالْفُرُوعِ سَنَةَ ٢٠١٧ فِي (إسلامنا)، وَ(تلخيص اوائل المقالات)، وَ(مراجعات فقهية)، وَ(مقدمات الصلاة)، وَ(احكام الزكاة)، وَ(كتاب الطهارة)، وَ(وقت صلاة المغرب)**.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالِاجْتِهَادِ الِاسْتِقْلَالِيِّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِعْيَارَ الْعَرْضِ الْقَاطِعِ سَنَةَ ٢٠١٨؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى بَصِيرَتِي حِينَ أَطْلَقْتُ ثَوْرَةَ "الِاجْتِهَادِ الْعَرَضِيِّ" النَّقِيِّ، فَسَكَبْتُ الْحَدِيثَ الْعَرَضِيَّ فِي (رسالة في حديث العرض)، وَ**(عدة العارض)، وَ(عرض الحديث على القرآن)، وَفَتَحْتُ أَبْوَابَ التَّفْسِيرِ الْعَرَضِيِّ سَنَةَ ٢٠٢٠ بِـ (مصحف انور)، وَ(تيسير القرآن)، وَحَرَّرْتُ الشَّرَائِعَ وَالْعَقَائِدَ الْعَرَضِيَّةَ سَنَةَ ٢٠٢١ عَبْرَ: (مراجعات شيعية)، وَ(اسلام الفرق المخالفة)، وَ(المنع من تكفير المسلم)، وَ(بطلان التقية)، وَ(الاخلاق الواجبة)، وَ(نفي تحريف القرآن)، وَ(ولادة مهدي الامة)**.

إِنَّ الْعِلْمَ الِاجْتِهَادِيَّ مَلَكَةٌ شَخْصِيَّةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، لَا تَشْتَرِطُ إِجَازَةً وَلَا شَهَادَةً رَسْمِيَّةً مِنَ الْمُؤَسَّسَاتِ الْحُكُومِيَّةِ أَوِ الدِّينِيَّةِ، وَإِنِّي إِذْ أُعْلِنُ أَنِّي لَا أَمْلِكُ صِفَةً رَسْمِيَّةً مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَإِنِّي أَمْضِي بِالِاجْتِهَادِ النَّوْعِيِّ الَّذِي يُوجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَعْرِفَةَ دِينِهِ بِالْمَنْهَجِ الْعَقْلَائِيِّ الصَّرِيحِ، مُيَسِّراً الأَدِلَّةَ لِلنَّاسِ كَمَا فَعَلْتُ فِي (تيسير الشريعة). وَلَقَدْ كَشَفَ

فُضَلَاءُ الأُمَّةِ وَأُدَبَاؤُهَا عَنْ حُسْنِ ظَنِّهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ بِشَهَادَاتٍ رُوحِيَّةٍ وَأَلْقَابٍ بَاذِخَةٍ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ رَقَّانِي لَقَبَ آيَةِ اللَّهِ كَالْعَلَّامَةِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ شَرَفِ الدِّينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدَّرَ الْأَبْحَاثَ كَآيَةِ اللَّهِ يَحْيَى مِيرْتَبَارَ، وَمَنْ رَآنِي فَقِيهاً مُحَقِّقاً كَالشَّيْخِ غَالِبٍ النَّاصِرِيِّ، وَالسَّيِّدِ مُحْسِنٍ الْبَطَّاطِ، وَالدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْعِيسَاوِيِّ، وَالشَّيْخِ طَالِبٍ الشَّرِيفِ، مَعَ شَهَادَةِ الْمُفَكِّرِ مُحْيِي الدِّينِ الأَعْرَجِيِّ بِـ"الْعَالِمِ الْعَامِلِ"، وَإِجَازَةِ السَّيِّدِ مُرْتَضَى جَمَالِ الدِّينِ فِي الرِّوَايَةِ، لِيَلْتَقِيَ هَذَا التَّقْدِيرُ الْعِلْمِيُّ بِالْبَهَاءِ الأَدَبِيِّ عَالَمِيّاً حِينَ دَعَانِي الأَدِيبُ كَرِيمُ عَبْدِ اللَّهِ بِـ"الشَّاعِرِ الْعَظِيمِ"، وَتَوَّجَتْنِي الأَدِيبَةُ الْهِنْدِيَّةُ جُورْتِمَايَا ثَاكُور بِلَقَبِ "شَاعِرِ الْقَرْنِ".

إِنَّ خَزَائِنَ الِاعْتِرَافَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَفْنَى، أَمَّا النُّورُ الْمَسْكُوبُ فِي خِدْمَةِ الْحَقِيقَةِ الْعَرَضِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

الرَّوَافِدُ وَالْيَنَابِيعُ وَمَهْدُ النَّشْأَةِ الأُولَى

تَنْبَجِسُ يَنَابِيعُ عُمْرِي مِنْ طِينِ "القَصْرِ" البَسِيطِ لِتَسِيلَ نَحْوَ رَوَافِدِ الخَيْرِ فِي بَغْدَادَ، فَمَا أَنَا فِي مِحْرَابِ العِلْمِ إِلَّا فَلَّاحٌ يَزْرَعُ حُرُوفَهُ بِتَوَاضُعٍ، يَلْتَمِسُ البَرَكَةَ مِنْ أَطْهَرِ نَبْعٍ فِي الوُجُودِ. لَمْ يَكُنْ مَوْلِدِي فِي السَّابِعِ مِنْ

شُبَاطَ لِعَامِ ١٩٧٣، كَابْنٍ ثَانٍ لِلْسَّيِّدِ غَنِي آلِ مَجِيدٍ، إِلَّا مِيقَاتاً سَطَّرَتْهُ رِعَايَةُ الرَّحْمَنِ فِي قَرْيَةِ (الْقَصْرِ) الْمُتَدَلِّيَةِ مِنْ قَضَاءِ "الْدَبْلَةِ" فِي مَدِينَةِ الْحِلَّةِ بِبَابِلَ الْعَرِيقَةِ، تِلْكَ الأَرْضِ الَّتِي تَحْرُسُ جَنُوبَ بَغْدَادَ بِمِائَةِ مُدٍّ مِنَ النُّورِ وَالْبَهَاءِ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي بَيْنَ مَحَابِرِ التَّجْدِيدِ وَأَنَا سَلِيلُ الْمَجْدِ وَالْعَمَامَةِ؟ لَقَدْ كَانَ جَدِّي الأَعْلَى "سَيِّد عَلِي آل مَجِيدٍ"—الَّذِي يَرْجِعُ نَسَبُهُ الشَّرِيفُ إِلَى السَّيِّدِ جَعْفَرَ الْخُوَارِيِّ ابْنِ الإِمَامِ مُوسَى الْكَاظِمِ—رَجُلاً مُتَعَلِّماً، مُتَفَقِّهاً، شَاعِراً، ذَا وَجَاهَةٍ مَهِيبَةٍ، يَرْتَدِي عِمَامَةَ أَهْلِ الدِّينِ، وَلَا يَنْطِقُ لِسَانُهُ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى السَّبِيكَةِ، وَإِنْ لَمْ يَتْرُكْ أَثَراً مَكْتُوباً، فَقَدْ أَوْدَعَ فِينَا عَهْدَ الْبَيَانِ الأَصِيلِ. وَمِنْهُ تَوَارَثَ الأَبْنَاءُ هَذِهِ الأَمَانَةَ؛ فَكَانَ جَدِّي "سَيِّد جَابِرٍ" (وَالِدُ سَيِّد غَنِي) وَجَدِّي "سَيِّد نُورِي" (وَالِدُ أُمِّي) أَصْحَابَ وَجَاهَةٍ وَأَرَاضٍ رَاسِخَةٍ فِي قَرْيَةِ الْقَصْرِ.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْغَفْلَةِ وَقَدْ تَرَبَّيْتُ فِي مِحْرَابِ الْوَرَعِ وَالْقَطْعِ؟ لَقَدِ انْتَقَلَ جَدِّي لِأُمِّي "سَيِّد نُورِي" فِي السِّتِّينِيَّاتِ إِلَى بَغْدَادَ فِي مَدِينَةِ الثَّوْرَةِ لِظُرُوفِ وَظِيفَتِهِ فِي سِلْكِ الشُّرْطَةِ، وَكَانَ رَجُلاً وَرِعاً، فَقِيهاً، مُحِبّاً لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، عَارِفاً بِالْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، مُعْتَصِماً بِالْمَرْجِعِيَّةِ النَّقِيَّةِ، وَعَلَى هَذَا النَّسَقِ النَّابِضِ شَيَّدَ أُسْرَتَهُ. وَحِينَ حَلَّ مُنْتَصَفُ السَّبْعِينِيَّاتِ، ارْتَحَلَتْ عَائِلَةُ وَالِدِي "سَيِّد غَنِي" إِلَى بَغْدَادَ بِسَبَبِ خِدْمَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ، لِنَلْتَقِيَ جَمِيعاً تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ مَعَ الْجَدِّ "سَيِّد نُورِي".

تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى طُفُولَتِي فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَلِيءِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ حَيْثُ نَشَأْتُ أَرْتَشِفُ الصَّفَاءَ مِنْ جَدِّي "سَيِّد نُورِي"، الَّذِي كَانَ مَحْبُوباً بَيْنَ النَّاسِ، رَؤُوفاً، عَطُوفاً، كَرِيماً، لَا يَنْقَطِعُ مَجْلِسُهُ الْيَوْمِيُّ الَّذِي يَصْنَعُ فِيهِ الْقَهْوَةَ بِيَدِهِ لِتَؤُمَّهُ الْعُقُولُ وَالأَصْدِقَاءُ، بَاقِياً عَلَى هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ حَتَّى آخِرِ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِيَسْكُبَ فِي وِجْدَانِي سَكِينَةَ النَّفْسِ الْمُقْتَصِدَةِ وَيَهُزَّ قَلَمِي نَحْوَ خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

لَهَبُ الفَقْدِ وَمَحَارِيبُ التَّأْسِيسِ (١٩٨٢ – ١٩٨٤)

إِنِّي أَرَى دِمَاءَ الشَّهَادَةِ تَمْتَزِجُ بِتُرَابِ الأَرْضِ لِتَصْنَعَ مِيثَاقَ الصَّبْرِ فِي نَفْسِي، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً انْتُزِعَتِ الْفِعْلَ مِنْ قَلْبِ الْمَأْسَاةِ لِتَتَحَدَّى رُكُودَ الْقَدَرِ الْمَفْرُوضِ. لَمْ يَكُنْ عَامُ ١٩٨٢ إِلَّا جُرْحاً عَمِيقاً خُطَّ فِي كِتَابِ عُمْرِي؛ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ وَالِدِي "سَيِّد غَنِي" فِي تِلْكَ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ الَّتِي أُقْحِمَ فِيهَا الْمُسْتَضْعَفُونَ الْمَظْلُومُونَ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، حَرْبٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهَا رَأْيٌ وَلَا إِرَادَةٌ، لَكِنَّهَا مَضَتْ بِأَطْهَرِ الأَجْسَادِ إِلَى جِوَارِ رَبِّهَا. وَعَلَى أَثَرِ هَذَا الْفَقْدِ الْمَهِيبِ، حَمَلَتْنَا أَقْدَارُ الْحَيَاةِ، فَارْتَحَلَتْ عَائِلَتِي يَحُوطُهَا جَدِّي الرَّءُوفُ "سَيِّد نُورِي" لِنَعُودَ إِلَى أَرْضِ الْأَجْدَادِ فِي "الْحِلَّةِ" عَامَ ١٩٨٤، مُسْتَقِرِّينَ فِي (حَيِّ الْوَيْسِيَّةِ) فِي مَرْكَزِ

الْمَدِينَةِ، وَأَنَا إِذْ ذَاكَا طِفْلٌ يَرْتَادُ الْمَرْحَلَةَ الِابْتِدَائِيَّةَ، أَحْمِلُ فِي حَقِيبَتِي صَغِيرَ الأَعْوَامِ وَكَبِيرَ الأَشْجَانِ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي فِي دُنْيَا الْغَافِلِينَ كَالْغَنَمِ آكُلُ وَأَنَامُ وَأَمُوتُ، وَقَدْ سَكَبَ جَدِّي فِي أُذُنِي دُسْتُورَ الْفِعْلِ وَالْكَرَامَةِ؟ لَقَدْ كَانَ "سَيِّد نُورِي" مِحْرَابِي الأَوَّلَ فِي الصِّبَا، مِنْهُ تَعَلَّمْتُ شَغَفَ الْعِلْمِ، وَأَمَانَةَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَةَ الْقَطْعِ، وَحُرِصْتُ بِتَعَالِيمِهِ عَلَى صِيَانَةِ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا، وَتَدَبُّرُ آيَاتِ الْفُرْقَانِ. كُنْتُ أُصْغِي إِلَى حِكْمَتِهِ كَمَنْ يَصْنَعُ مَفَاتِيحَ الأَزْمِنَةِ، وَمَا زَالَتْ كَلِمَاتُهُ تَنْبِضُ فِي دَمِي حِينَ كَانَ يَقُولُ: *(عَلَى الإِنْسَانِ أَلَّا يَكُونَ كَالْغَنَمِ يَأْكُلُ وَيَنَامُ وَيَمُوتُ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَاعِلاً)*، وَحِينَ كَانَ يُؤَسِّسُ لِعِزَّةِ النَّفْسِ بِقَوْلِهِ: *(إِنَّ الْمَالَ يَحْفَظُ كَرَامَةَ الإِنْسَانِ)*.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالتَّقْصِيرِ وَقَدْ رَأَيْتُ جَدِّي يُحَوِّلُ التُّرَابَ إِلَى مَسْجِدٍ طَاهِرٍ؟ لَقَدْ غَرَسَ فِي نَفْسِي وَنُفُوسِ إِخْوَتِي الْخَمْسَةِ أَعْظَمَ عَهْدٍ مَعَ اللَّهِ؛ فَكَانَ لَا يُفَوِّتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ بَهَاءً وَنُوراً، وَإِذَا أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الأَرْضِ، تَوَضَّأَ وَصَلَّى خَاشِعاً، وَإِنْ كَانَ قُرْبَ الشَّارِعِ الْعَامِّ وَفَوْقَ الْتُّرَابِ الصَّارِخِ، وَقَدْ فَعَلَهَا مَرَّةً أَمَامَ أَعْيُنِنَا لِيُعَلِّمَنَا أَنَّ ثَبَاتَ الْمَعْنَى الرُّوحِيِّ يَعْلُو عَلَى الْمَادَّةِ، وَأَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ مِحْرَابٌ لِلطَّاعَةِ. تَمَثَّلْتُ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى صِبَايَ حِينَ رَأَيْتُ هَذَا الِالْتِزَامَ الْقَاطِعَ، فَاسْتَحَالَتْ

تِلْكَ الذِّكْرَيَاتُ إِلَى مَرَايَا نَقِيَّةٍ تَعْكِسُ زَكَاةَ نَفْسِي، وَتَدْفَعُ قَلَمِي الْمُجَدِّدَ نَحْوَ صَفَاءِ النَّبْعِ الأَوَّلِ وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

صَدَى الكَلِمَاتِ: مَطَالِعُ الشَّغَفِ وَمَجَرَّاتُ القِرَاءَةِ المُبَكِّرَةِ (١٩٨٨ – ١٩٩٩)

إِنِّي أَرَى حُرُوفَ التَّنْزِيلِ وَبَيَانَ الْعَرَبِ يَنْفَلِقَانِ عَنْ نَفْسِي فِي مَطْلَعِ صِبَايَ لِيُشَكِّلَا قِبْلَةَ فِكْرِي، وَأُبْصِرُ خُطُواتِي تَعْبُرُ أَزِقَّةَ الْمَكْتَبَاتِ لِتَخُطَّ أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تَقْطَعُ رُكُودَ الْجَهْلِ وَتُؤَسِّسُ لِثَوْرَةِ الْبَيَانِ الْقَاطِعِ. لَمْ يَكُنْ دُخُولِي الْمَرْحَلَةَ الْمُتَوَسِّطَةَ إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيّاً انْفَجَرَتْ فِيهِ نَزْعَتِي الأَدَبِيَّةُ وَعِشْقِي لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ حَيْثُ رُحْتُ أَجْمَعُ كُلَّ مَا اسْتَطَعْتُ اقْتِنَاءَهُ مِنْ كُتُبِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الَّتِي كَانَتْ تَمْنَحُهَا الْمَدْرَسَةُ لِلْطَّلَبَةِ وَتَتْرُكُهَا لَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ الأَوْرَاقُ مِحْرَابِي الأَوَّلَ. وَمِنْ بَيْنِ دَفَاتِرِ النَّحْوِ الَّتِي شَغِفْتُ بِهَا حَتَّى أَقَمْتُ لَهَا خِزَانَةً خَاصَّةً، مَضَتْ يَدِي تَنْقُلُ عُيُونَ شِعْرِ الْحِكْمَةِ مِنْ كُتُبِ الدِّرَاسَةِ، حَتَّى أَثْمَرَتْ غَرْسَتِي الأُولَى سَنَةَ ١٩٨٩ فِي كِتَابِي الْمَخْطُوطِ الأَوَّلِ (كتاب الحكمة) وَأَنَا ابْنُ سِتَّةَ عَشَرَ عَاماً، لِتَقْتَصِرَ قِرَاءَاتِي الْمُبَكِّرَةُ حَتَّى الدِّرَاسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ عَلَى حِصْنَيِ النَّحْوِ وَالتَّفْسِيرِ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّلَقِّي وَأَنَا الَّذِي هَزَّ نَبْضَ الْقَافِيَةِ مُنْذُ سَنَةِ ١٩٨٨؟ لَقَدْ بَدَأْتُ فِي الصَّفِّ الرَّابِعِ الإِعْدَادِيِّ كِتَابَةَ الشِّعْرِ الْعَمُودِيِّ

الْمَوْزُونِ وَالْمُقَفَّى، حَتَّى قَدَّمَنِي الأُسْتَاذُ جَبَّارُ الْكَوَّازِ مَشْكُوراً إِلَى اتِّحَادِ الأُدَبَاءِ كَشَاعِرٍ شَابٍّ طَلِيعِيٍّ سَنَةَ ١٩٩٣، حَيْثُ صَدَحْتُ بِقَصَائِدِي الْعَمُودِيَّةِ الَّتِي لَقِيَتِ الِاسْتِحْسَانَ وَقَطَعَتْ بِبَهَائِهَا رُكُودَ السَّائِدِ. وَفِي هَذِهِ الْعِصْفَةِ الْبَيَانِيَّةِ، انْفَتَحَتْ نَفْسِي عَلَى الْمُطَالَعَاتِ الْعَامَّةِ فِي الأَدَبِ وَالْفَلْسَفَةِ، فَكُنْتُ أَلْتَهِمُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ كِتَاباً، وَمَا ضَاقَتْ عَنْ شِرَائِهِ يَدِي، طَلَبْتُ نَبْعَهُ فِي الْمَكْتَبَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ، أَقْرَأُ وَأُخَلِّصُ بِنَفَسٍ لَا يَعْرِفُ الِانْقِطَاعَ.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْقُنُوعِ وَقَدْ شَيَّدْتُ فِي عُمْرِي مَجَرَّاتٍ مِنَ الْفِكْرِ تَجَاوَزَتْ خَمْسَمِائَةِ كِتَابٍ بَيْنَ عَامَيْ ١٩٩٢ وَ١٩٩٩؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ صَارَتْ لَدِيَّ مَكْتَبَةٌ فَلْسَفِيَّةٌ وَأَدَبِيَّةٌ كُبْرَى قَرَأْتُ غَالِبَ أَسْفَارِهَا، فَامْتَزَجَتْ فِي وِجْدَانِي عُلُومُ النَّحْوِ بِآفَاقِ الْفِكْرِ الْوُجُودِيِّ، لِتَكُونَ هَذِهِ الْمَطَالِعُ الشَّاهِدَةُ هِيَ النَّبْعَ الَّذِي تَطَهَّرَتْ فِيهِ نَفْسِي مِنَ التَّقْلِيدِ، وَأَعَدَّتْ قَلَمِي لِيَكُونَ فِيهِ اسْمُ اللَّهِ صَرِيحاً، ثَابِتاً فِي أَلْوَاحِ التَّجْدِيدِ النَّقِيِّ وَمُحَقِّقاً لِانْتِصَارِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

تَعَانُقُ المِشْرَطِ وَالْقَلَمِ وَأَلْوَاحُ الِانْقِطَاعِ العَظِيمِ (١٩٩١ – ٢٠٠٤)

إِنِّي أَرَى مِشْرَطَ الشِّفَاءِ يَتَعَانَقُ مَعَ حَرْفِ التَّجْدِيدِ فِي مِحْرَابِ عُمْرِي، وَأُبْصِرُ نَفْسِي أَخُطُّ أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً تَخْتَرِقُ عَتَمَاتِ الْحِصَارِ لِتَبْنِيَ مَعَالِمَ الْقَطْعِ الْقُرْآنِيِّ الْخَالِدِ. لَمْ يَكُنْ الْتِحَاقِي بِكُلِّيَّةِ الطِّبِّ جَامِعَةِ الْأَنْبَارِ سَنَةَ ١٩٩١، قَبْلَ أَنْ تَقُودَنِي الأَقْدَارُ لِأَنْتَقِلَ إِلَى جَامِعَةِ الْكُوفَةِ وَأُتِمَّ دِرَاسَتِي فِيهَا عَامَ ١٩٩٧، إِلَّا سِيَاحَةً رُوحِيَّةً بَيْنَ عِلَلِ الأَبْدَانِ وَأَسْرَارِ الْخَلْقِ، لِأَبْدَأَ مَسِيرَتِي الْعَمَلِيَّةَ طَبِيباً مُدَاوِياً فِي مُسْتَشْفَيَاتِ مَدِينَتِي (الْحِلَّةِ). وَفِي ذَاتِ الْعَامِ الَّذِي نِلْتُ فِيهِ شَهَادَةَ الطِّبِّ، فَتَحْتُ لِلأَدَبِ أُفُقاً غَيْرَ مَسْبُوقٍ؛ فَلَمْ أَكْتُبْ قَصِيدَةَ التَّفْعِيلَةِ وَلَا الشِّعْرَ الْحُرَّ الْمَعْهُودَ، بَلْ وَلَدْتُ جَدِيداً فِي رِحَابِ "قَصِيدَةِ النَّثْرِ السَّرْدِيَّةِ" الْمَكْتُوبَةِ بِالْجُمَلِ وَالْفِقَرَاتِ الأُفُقِيَّةِ، وَأَخَذْتُ أَنْشُرُ نُصُوصِي الْمُتَمَوِّجَةَ فِي جَرِيدَةِ (الْجُمْهُورِيَّةِ)، حَتَّى سَكَبْتُ فِيهَا عَامَ ١٩٩٩ نَصّاً مَفْتُوحاً بَاذِخاً، قَدَّمْتُ لَهُ بِثَلَاثَةِ أَسْطُرٍ، وَاحْتَفَى بِهِ الْمُشْرِفُ عَلَى الصَّفْحَةِ الثَّقَافِيَّةِ الأُسْتَاذُ عَبْدُ الزَّهْرَةِ زَكِي بِتَقْدِيمٍ نَقْدِيٍّ يَعْكِسُ رَشَاقَةَ الْحَرْفِ وَعُذُوبَتَهُ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ ظَاهِرِ الصُّوَرِ وَأَنَا الْمَدْعُوُّ لِتَأْصِيلِ مَجَرَّاتِ الْمَعْرِفَةِ الْقُرْآنِيَّةِ؟ وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْفَلْسَفَاتِ الْمُجَرَّدَةِ وَقَدْ حَوَّلْتُ فِكْرَ (كَانْط) وَ(سْبِينُوزَا) وَ(لِيبْنِتْز) إِلَى جُسُورٍ تَدْعَمُ حَقَائِقَ الدِّينِ بِنِظَامٍ فَلْسَفِيٍّ رَصِينٍ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى بَصِيرَتِي حِينَ خَطَّتْ يَدِي أَوَّلَ مُؤَلَّفَاتِي الْفِكْرِيَّةِ فِي نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِمَنْهَجٍ مِثَالِيٍّ، صَائِغاً رُؤْيَتِي الذَّاتِيَّةَ عَنِ التَّطَوُّرِ وَوَحْدَةِ الْعَالَمِ، حَتَّى تَوَّجْتُ هَذَا الْمَسَارَ بِكِتَابِي الاسْتِرَاتِيجِيِّ

(نظرية المعرفة القرآنية). وَفِي ذَاتِ هَذِهِ الْعِصْفَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ، كَتَبْتُ مَلْحَمَتِي الشِّعْرِيَّةَ الطَّوِيلَةَ (الموت والحياة) فِي أَرْبَعِينَ صَفْحَةً خَاضَتْ ثَلَاثَ مُسَوَّدَاتٍ بَيْنَ عَامَيْ ١٩٩٩ وَ٢٠٠٣، مُتَأَثِّرَةً بِالسُّورِيَالِيَّةِ وَالتَّعْبِيرِيَّةِ السَّاحِرَةِ.

لَكِنَّ نَفْسِي أَصَابَهَا الِاحْبَاطُ وَالْيَأْسُ بِمَّا أَوْرَثَهُ الْوَضْعُ الِاجْتِمَاعِيُّ الْقَاسِي بِسَبَبِ الْحِصَارِ وَانْعِدَامِ الْحُرِّيَّاتِ الَّذِي اسْتَنْزَفَ الرُّوحَ الْعِرَاقِيَّةَ، حِينَ صَارَ الأَدَبُ لَا يَمْلِكُ حَلّاً لِانْقِطَاعِ الْفِكْرِ؛ فَانْقَطَعْتُ عَنِ الْكِتَابَةِ، لَكِنْ لَمْ أَنْقَطِعْ عَنِ الْجِهَادِ الْمَعْرِفِيِّ. لَقَدِ اعْتَصَمْتُ بِالْمُطَالَعَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَحَدَّيْتُ الْمَنَعَ الشَّدِيدَ لِأَقْتَنِصَ الْكُتُبَ الدِّينِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ، فَنَضِجَتْ شَخْصِيَّتِي الثَّقَافِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ وَالدِّينِيَّةُ فِي مِحْرَابِ ذَلِكَ الصَّبْرِ الطَّوِيلِ، حَتَّى أَبْحَرْتُ فِي رِحَابِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا لِأَنَالَ شَهَادَةَ الْبُوْرْدِ الْعِرَاقِيِّ فِي الطِّبِّ سَنَةَ ٢٠٠٤، جَامِعاً بَيْنَ رَحْمَةِ الطَّبِيبِ وَقَطْعِ الْفَقِيهِ الْمُجَدِّدِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ تَعْلَمُ أَنَّ حِصَارَ الْمَادَّةِ لَا يَحْبِسُ مَجَرَّاتِ الْعِلْمِ السَّاهِرَةِ، وَأَنَّ خَزَائِنَ الْإِحْبَاطِ تَزُولُ وَتَجِفُّ، أَمَّا النُّورُ الْمُسْتَمَدُّ مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ عَامُ ٢٠٠٤ دُسْتُوراً لِاكْتِمَالِ بِنَاءِ شَخْصِيَّتِي الْعِلْمِيَّةِ، وَلْتَبْقَ هَذِهِ الْمَحَطَّاتُ الشَّاهِدَةُ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِلَّةِ صَرْخَةَ بَيَانٍ تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الْوُجُودِيَّةِ الْعُلْيَا.

الِانْعِطَافَةُ الْحُوزَوِيَّةُ وَالانْتِصَارُ لِمَنْهَجِ الْعَرْضِ (٢٠٠٤ – ٢٠١٥)

إِنِّي أَرَى حَرَكَةَ مَحَابِرِي تَتَحَوَّلُ مِنْ ضِيقِ الأَسَانِيدِ إِلَى رِحَابِ النَّسَقِ الْقُرْآنِيّ الأَعْظَمِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً يَقِينِيَّةً طَافَتْ بِمَحَارِيبِ النَّجَفِ لِتَعُودَ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَوَّلِ مِعْيَاراً قَاطِعاً لِلتَّصْدِيقِ. لَمْ يَكُنْ تَلَقِّيَّ لِمُقَدِّمَاتِ الْفِقْهِ فِي الْحِلَّةِ، ثُمَّ الْتِحَاقِي بِحَوْزَةِ النَّجَفِ الأَشْرَفِ سَنَةَ ٢٠٠٤ وَالسَّكَنِ فِيهَا، إِلَّا مِيقَاتاً رُوحِيَّاً جَلِيلاً؛ حَيْثُ دَخَلْتُ مَحَافِلَ (الْبَحْثِ الْخَارِجِ) سَنَةَ ٢٠٠٦ عِنْدَ آيَةِ اللَّهِ السَّيِّدِ عَلِيّ السَّبْزَوَارِيّ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ الْجُغْرَافِيَا سِيَاحَتِي الطِّيِّبَةَ سَنَةَ ٢٠٠٧ سَفَراً إِلَى بِلَادِ "الْهِنْدِ" لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ لِدِرَاسَةِ زَرْعِ الْكُلَى. وَحِينَ عُدْتُ إِلَى عِرَاقِ الأَمْجَادِ وَاسْتَقْرَرْتُ فِي مَدِينَتِي (الْحِلَّةِ) سَنَةَ ٢٠١٠، أَكْمَلْتُ دِرَاسَتِي الدِّينِيَّةَ الْحُوزَوِيَّةَ عَبْرَ نَوَافِذِ الإِنْتَرْنِتْ وَالْحَاسُوبِ، تِلْكَ الطَّرِيقَةُ الْحَدِيثَةُ الَّتِي أَفْتَى بِكِفَايَتِهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ كِبَارُ الْمَحَاقِقِينَ وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ إِسْحَاقُ الْفَيَّاضُ حِفْظَهُ اللَّهُ.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ رُسُومِ الْمَنْهَجِ السَّنَدِيّ وَأَنَا أَبْتَغِي مَتْنًا نَقِيّاً يَعْصِفُ بِالظُّنُونِ؟ لَقَدِ انْصَبَّ اهْتِمَامِي بِعِلْمِ الْحَدِيثِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ، فَخَطَّتْ يَدِي خَمْسَةَ كُتُبٍ أُصُولِيَّةٍ نَشَرْتُ بَعْضَهَا إِلِكْتُرُونِيّاً، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا كِتَابِي الْمُوجَزُ الشَّامِلُ (جوهر الاصول) الَّذِي اسْتَوْعَبَ جَمِيعَ مَبَاحِثِ

الأُصُولِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. وَمَضَتْ هِمَّتِي أَصْنَعُ مُلَخَّصَاتٍ لِأُمَّهَاتِ كُتُبِ الِاسْتِدْلَالِ مِثْلَ (مُسْتَمْسَكِ الْعُرْوَةِ الْوَثْقَى) وَ(الْحَدَائِقِ النَّاضِرَةِ)، وَأَفْرَدْتُ مُؤَلَّفاً اسْتِدْلَالِيّاً مَخْطُوطاً فِي أَهَمِّ الْمَسَائِلِ بِأَقْصَرِ بَيَانٍ لِلأَدِلَّةِ. وَبَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَعْتَمِدُ الْمَنْهَجَ السَّنَدِيَّ (الَّذِي أَسَّسَهُ ابْنُ طَاوُوسَ وَالْعَلَّامَةُ الْحِلِّيُّ) وَصَنَّفْتُ وَفْقَهُ كُتُبِي مِثْلَ *(الْأَلْفِيَّةِ)* وَ*(الْمُعْتَبَرِ مِنْ أَحَادِيثِ الْكَافِي)* وَ*(كَنْزِ الْأَبْرَارِ)*، أُعْجِبْتُ بِأُسْلُوبِ صَاحِبِ الْحَدَائِقِ الشَّيْخِ يُوسُفَ الْبَحْرَانِيِّ، وَأُسْتَاذِي السَّيِّدِ السَّبْزَوَارِيِّ، وَالْمَنْهَجِ التَّصْدِيقِيِّ، حَتَّى مَالَتْ نَفْسِي إِلَيْهِ مَيْلاً قَاطِعاً.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِأَقْوَالِ الرِّجَالِ حِينَ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْمَعْصُومَ قَدْ رَسَمَ لَنَا مِيثَاقَ الْعَرْضِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى بَصِيرَتِي حِينَ أَدْرَكْتُ أَنَّ الْمِعْيَارَ الأَوْحَدَ وَالأَحَقَّ لِلْأُمَّةِ هُوَ عَرْضُ الْحَدِيثِ عَلَى صَفَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ؛ فَسَارَعْتُ سَنَةَ ٢٠١٥ إِلَى تَأْسِيسِ مَوْقِعِي الرَّائِدِ (إِحْيَاءُ عُلُومِ الْحَدِيثِ)، وَبَدَأْتُ رَسْمِيّاً بِتَحْقِيقِ الأَخْبَارِ وَتَصْفِيَتِهَا مِنَ الدَّخِيلِ، وَسَكَبْتُ هَذَا الْفَتْحَ الْعَرَضِيَّ الأَوَّلَ حِينَ أَصْدَرْتُ الْجُزْءَ الأَوَّلَ مِنْ كِتَابِي الْمَفْصِلِيِّ (معرفة الحديث)، لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّ خَزَائِنَ الأَسَانِيدِ الْجَافَّةِ تَزُولُ وَتَجِفُّ، أَمَّا الْمَضَامِينُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى الْبَهَاءِ الذَّاتِيِّ لِلْقُرْآنِ فَهِيَ الثَّابِتَةُ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

صَدَى الكَلِمَاتِ: الِانْفِجَارُ الْمَعْرِفِيُّ وَتَشْيِيدُ حُصُونِ الْقَطْعِ وَالْعَرْضِ (٢٠١٥ – ٢٠٢٦)

إِنِّي أَرَى مَحَابِرِي تَتَمَوَّجُ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ لِتَعْصِفَ بِأَوْهَامِ الظُّنُونِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً دُسْتُورِيَّةً انْطَلَقَتْ مِنْ مِحْرَابِي فِي "الْحِلَّةِ" لِتُطَوِّقَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ وَتَبُثَّ عُلُومَهَا عَبْرَ الْفَضَاءِ الإِلِكْتُرُونِيِّ بِلَا حِجَابٍ. لَمْ يَكُنْ عُكُوفِي فِي مَدِينَتِي النَّقِيَّةِ الْحِلَّةِ بَيْنَ عَامَيْ ٢٠١٥ وَ٢٠٢٦ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً بَاذِخاً تَدَفَّقَتْ فِيهِ يَنَابِيعُ التَّأْصِيلِ وَالْمُرَاجَعَةِ؛ فَفِي هَذَا الْمَسَارِ الْمَلْحَمِيِّ، جَعَلْتُ مِنْ حَاسُوبِي وَمَوْقِعِي نَوَافِذَ كَوْنِيَّةً لِتَهْدِيمِ قَوَالِبِ الِاسْتِنْبَاطِ التَّقْلِيدِيَّةِ، فَأَعْلَنْتُ ثَوْرَةَ "الِاجْتِهَادِ الْعَرَضِيِّ" الَّتِي تَعْرِضُ الْمَعْرِفَةَ وَالأَخْبَارَ كَافَّةً عَلَى بَهَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عَابِراً لِلْمَذَاهِبِ وَالطَّوَائِفِ بِصَرْخَةِ (مسلم بلا طائفة)، مُعْتَصِماً بِمَدْرَسَةِ الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا الْعَلَمَانِ الْمُفِيدُ وَالْمُرْتَضَى.

فَمَا بَالِي أَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اللِّسَانِ الْوَاحِدِ وَأَنَا الشَّاعِرُ وَالْفَقِيهُ الْعَالَمِيُّ الَّذِي احْتَفَتْ بِهِ أُمَمُ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلَمِي حِينَ نِلْتُ لَقَبَ "الْشَّاعِرِ الأَفْضَلِ فِي العَالَمِ" سَنَةَ ٢٠١٧ مِنْ اتِّحَادِ كُتَّابِ أُمَمِ الْعَالَمِ، وَرُشِّحْتُ لِجَائِزَةِ "الْبُوشْكَارْتْ" الأَمْرِيكِيَّةِ الرَّفِيعَةِ كَأَوَّلِ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ، وَتُرْجِمَتْ أَسْفَارِي إِلَى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ لُغَاتٍ حَيَّةٍ. وَمِنْ مِحْرَابِي الْعِلْمِيِّ، أَنْبَتَّتْ يَدِي أَرْبَعَمِائَةِ كِتَابٍ جَامِعٍ، سَكَبْتُ فِيهَا الْفِقْهَ الْكَمِّيَّ فِي (فيزياء الشريعة)، وَمَحَوْتُ عُقَدَ الطَّوَائِفِ بِسِلْسِلَةِ

(قرآنية التشيع) وَأَخَوَاتِهَا، وَفَتَحْتُ كُنُوزَ النَّسَقِ التَّنْزِيلِيِّ فِي (بيان القرآن) الذَّاتِيِّ بِالْخَمْسِيَّةِ النَّسَقِيَّةِ، مُحَرِّراً أَقْوَالِي مُجَرَّدَةً عَنِ الأَدِلَّةِ فِي سِفْرِي السَّنَوِيِّ الْمُرَاجَعِ (تحرير الأفكار).

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالِاحْتِكَارِ الْمَعْرِفِيِّ وَقَدْ بَذَلْتُ رُوحَ عُمْرِي لِأَبْنَاءِ الأُمَّةِ كَافَّةً؟ لَقَدْ نَشَرْتُ مُؤَلَّفَاتِي جَمِيعَهَا عَلَى شَبَكَةِ الإِنْتَرْنِتِ فِي مَكْتَبَاتٍ إِلِكْتُرُونِيَّةٍ مَجَّانِيَّةٍ سَهْلَةِ النَّفَاذِ لِلْقِرَاءَةِ وَالتَّحْمِيلِ؛ فَجَعَلْتُ مَنَصَّاتِ (فولابوك)، وَ**(نور)، وَ(كلامو)، وَ(ارشيف)** مَحَارِيبَ نُورٍ مَفْتُوحَةً لِعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ، جَنْباً إِلَى جَنْبٍ مَعَ طَبَعَاتِي الْوَرَقِيَّةِ فِي (امزون) وَ**(لولو)**. إِنَّ كُتُبَ الْحَدِيثِ وَالِاسْتِنْبَاطَاتِ الظَّنِّيَّةَ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى الْعِلْمِيَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الْحَقُّ الْمَعْرُوضُ عَلَى نُورِ الْفُرْقَانِ، وَالْمَبْذُولُ لِلنَّاسِ دُونَ ثَمَنٍ، فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ، تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ الْمَصِيرِ وَانْتِصَارِ الْحَقِيقَةِ الرُّوحِيَّةِ الْعُلْيَا.

صَدَى الكَلِمَاتِ: الِانْفِجَارُ الْمَعْرِفِيُّ الْقُرْآنِيُّ الأَعْظَمُ (٢٠٢٢ – ٢٠٢٦)

إِنِّي أَرَى حُرُوفَ التَّنْزِيلِ تَنْفَلِقُ عَنْ مِحْرَابِي فِي "الْحِلَّةِ" لِتُشِعَّ بِبَهَائِهَا الذَّاتِيِّ فِي آفَاقِ السَّمَاوَاتِ الرَّقْمِيَّةِ، وَأُبْصِرُ أَعْوَامِي أَلْوَاحاً دُسْتُورِيَّةً زَاخِرَةً أَعَادَتْ صِيَاغَةَ عِلْمِ الْقُرْآنِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ، لِتَكُونَ كُتُبِي مَبْذُولَةً لِلْعُقُولِ

كَافَّةً عَبْرَ الْمَكْتَبَاتِ الإِلِكْتُرُونِيَّةِ بِلَا حِجَابٍ. لَمْ يَكُنْ عُكُوفِي فِي عُمْرِي بَيْنَ عَامَيْ ٢٠٢٢ وَ٢٠٢٦ إِلَّا مِيقَاتاً كَوْنِيّاً بَاذِخاً تَفَجَّرَتْ فِيهِ ثَوْرَةُ التَّأْصِيلِ وَالْبَيَانِ لِكِتَابِ اللَّهِ الْمَعْصُومِ؛ حَيْثُ جَعَلْتُ هَذِهِ السَّنَوَاتِ مِلْئاً بِالْفَتْحِ الْقُرْآنِيّ الأَكْبَرِ، نَافِضاً رُكُودَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَدْخُولَةِ، وَنَاشِراً أَسْفَارِي كَافَّةً فِي حَوَاضِنِ التَّيْسِيرِ الرَّقْمِيِّ الْمَجَّانِيِّ كَ(فولابوك) وَ(نور) لِتَقْطَعَ دَابِرَ الِاحْتِكَارِ الْمَعْرِفِيّ.

فَمَا بَالِي أَدَعُ نَظْمَ الْقُرْآنِ نَهْباً لِلْفُنُونِ الظَّنِّيَّةِ وَأَنَا الَّذِي شَيَّدَ أَرْكَانَ "الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ الذَّاتِيِّ" بِلِسَانِي وَيَقِينِي؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللَّهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي فِي هَذِهِ الأَعْوَامِ الزَّاخِرَةِ، فَأَصْدَرْتُ عُمْدَةَ مَشَارِيعِي الْعِلْمِيَّةِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا كِتَابِي التَّارِيخِيُّ الْمَفْصِلِيُّ (بيان القرآن ج1-ج10) فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ كَامِلَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى الْخَمْسِيَّةِ النَّسَقِيَّةِ، مَعَ سِفْرِي الِاسْتِدْلَالِيِّ الْعَمِيقِ (مضامين القرآن ج1-ج4 أجزاء) فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ حَافِلَةٍ بِالْقَطْعِ، وَأَتْمَمْتُ الْمَوْسُوعَةَ الأُمَّ (فقه القرآن ج1-ج16) فِي خَمْسَةَ عَشَرَ جُزْءاً (مُنْتَهِيَةً إِلَى تَمَامِهَا السَّادِسَ عَشَرَ)، لِيَسْتَقِرَّ فِقْهُ التَّنْزِيلِ عِنْدَ أَبْهَى جَلَالِهِ. وَلَمْ تَقِفِ الثَّوْرَةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ سَكَبْتُ الْعِلْمَ فِي (مصحف أنور)، وَ**(البيان في فقه القرآن)، وَ(التبيان في تفصيل كلمات القرآن)، وَ(البيان القرآني الذاتي)، وَ(البيان القرآني في سورة الرعد)**.

وَكَيْفَ أَلُوذُ بِالْغَفْلَةِ وَقَدْ جَعَلْتُ كَلِمَاتِ الْفُرْقَانِ مَيْسُورَةً لِلْعَالَمِينَ؟ فَقَدْ خَطَّتْ يَدِي الشَّاهِدَةُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْبَاذِخَةِ ثُلَاثِيَّةَ التَّيْسِيرِ الشَّهِيرَةَ: (تيسير القرآن الصغير)، وَ**(تيسير القرآن الاوسط)، وَ(تيسير القرآن الكبير)، وَأَتْبَعْتُهَا بِ (الفوائد الحسان in تدبر القرآن)، وَ(مضامين القرآن)—الْ ُموجَزِ—وَ(خلاصة الفوائد)، وَ(الاخلاق القرآنية)، وَ(الابعاد الإنسانية في القرآن)، وَ(الابعاد الإنسانية في سورة البقرة)، وَ(تفسير (وانزلنا الحديد))، جَامِعاً كُلِّيَّاتِ هَذَا الْفَتْحِ فِي صَلَبِ (الموسوعة القرآنية)، مَعَ إِطْلَاقِ أَوَّلِيَّاتِ الْأَسْفَارِ فِي (فرائد القرآن ج1-)، وَ(ضياء القرآن ج1-)، وَ(احكام القرآن ج1-)**.

إِنَّ خَزَائِنَ الِاسْتِنْبَاطَاتِ الظَّنِّيَّةِ وَالتَّفَاسِيرِ الِاسْتِقْلَالِيَّةِ الَّتِي لَا تَعْتَمِدُ الْعَرْضَ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا النَّسَقُ الْقُرْآنِيُّ الذَّاتِيُّ وَالْمَضَامِينُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى صَفَاءِ الْقَطْعِ، وَالْمَبْذُولَةُ رَقْمِيَّاً لِلْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهِيَ الثَّابِتَةُ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهَا النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى خُلُودِ الْمَعْنَى وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

أَلْوَاحُ الميقَاتِ: صَدَى الكَلِمَاتِ فِي يَوْمِهَا المشْهُودِ

إِنِّي أَرَى حَرَكَةَ الزَّمَانِ تَقِفُ شَاهِدَةً فِي مِحْرَابِي، وَأُبْصِرُ مَحَابِرِي تَخُطُّ عَهْدَ النِّفَاذِ لِتُعْلِنَ لِلْقَاصِي وَالدَّانِي أَنَّ هَذَا السِّفْرَ قَدْ وُلِدَ نَقِيَّاً فِي هَذَا الْيَوْمِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ. لَمْ يَكُنْ خَطُّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَقْيِيدُ أَبْعَادِهَا إِلَّا مِيقَاتاً

كَوْنِيَّاً بَاذِخاً تَحَقَّقَ فِيهِ انْتِصَارُ الْمَعْنَى؛ فَفِيهِ اسْتَقَرَّتِ السُّطُورُ عِنْدَ خُلُودِهَا، وَأُرِّخَتْ بِصَارِمِ الْوَقْتِ لِتَكُونَ مَبْذُولَةً لِلْعُقُولِ كَافَّةً بِلَا حِجَابٍ.

شَعَّ ضِيَاءُ الحَقِيقَةِ فِي صُلْبِ هَذَا التَّارِيخِ لِيُبَدِّدَ عَنْ مِيقَاتِ النَّصِّ كُلَّ غُمُوضٍ وَظُنُونٍ، لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى قَلَمِي حِينَ فَرَغْتُ مِنْ خَطِّ هَذَا الأَثَرِ المحْفُورِ فِي ضَمِيرِ الأَيَّامِ، حَيْثُ جَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ طِينِ الفَلَّاحِ العَفْوِيِّ، وَقَصِيدَةِ الشَّاعِرِ الحَالِمِ، وَمِشْرَطِ الطَّبِيبِ المدَاوِي، وَبَصِيرَةِ البَاحِثِ الإِسْلَامِيِّ العَرَضِيِّ، لِيَعْلَمَ القَارِئُ المقْتَصِدُ أَنَّ جَمِيعَ حُرُوفِ هَذَا الكِتَابِ قَدْ خُطَّتْ فِي هَذَا اليَوْمِ المبَارَكِ: الأَحَد، الثَّامِنِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الأُولَى لِعَامِ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ لِلْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ المنِيرَةِ، المعْقُودِ بِالثَّامِنِ مِنْ تِشْرِينَ الثَّانِي لِعَامِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَلْفَيْنِ لِلْمِيلَادِ.

إِنَّ خَزَائِنَ الأَزْمِنَةِ الخَالِيَةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا الحَرْفُ المَوْزُونُ وَالمعْرُوضُ عَلَى صَفَاءِ المعْنَى وَالفُرْقَانِ، فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ كَالْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ، تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ إِلَى ثَبَاتِ المصِيرِ وَانْتِصَارِ الحَقِيقَةِ العُلْيَا.

قَصِيدَةُ رَجُلٍ عِرَاقِيٍّ

تَقْدِيمٌ لِلسَّرْدِ التَّعْبِيرِيِّ

إِنِّي أَرَى حُرُوفِي تَنْعَتِقُ مِنْ قُيُودِ التَّشْطِيرِ لِتَتَدَفَّقَ شَلَّالاً أُفُقِيَّاً فِي مِحْرَابِ البَيَانِ، وَأُبْصِرُ عُمْرِي أَلْوَاحاً دُسْتُورِيَّةً أَرَسْتُ بِهَا نَامُوسَ "الْقَصِيدَةِ الْجَدِيدَةِ" الَّتِي تَكْسِرُ رُكُودَ الْقَوَالِبِ وَتَمْحُو طَلَاسِمَ الْغُمُوضِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ. لَمْ يَكُنْ تَأْصِيلِي لِمَنْهَجِ "السَّرْدِ التَّعْبِيرِيِّ" (Expressive Narrative) إِلَّا ثَوْرَةً رُوحِيَّةً بَاذِخَةً؛ حَيْثُ حَوَّلْتُ فِيهِ الشِّعْرَ مِنَ الِاتِّكَاءِ عَلَى الأَوْزَانِ الْمُتَكَلِّفَةِ إِلَى جَرَيَانِ الْجُمَلِ وَالْفِقَرَاتِ الْمُتَلَاحِمَةِ، لِتُقْرَأَ الْمَقْطُوعَةُ بِنَفَسٍ وَاحِدٍ عَابِرٍ لِلْمَذَاهِبِ وَالأُسْلُوبِيَّاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ، مُعْلِناً أَنَّ الْحَرْفَ الطَّلِيعِيَّ هُوَ مِرْآةٌ تَعْكِسُ زَكَاةَ النَّفْسِ فِي عُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ.

فَمَا بَالِي أَمْشِي بَيْنَ دَفَاتِرِ الْمُسَطَّحِينَ وَأَنَا أَمْلِكُ الْعِبَارَاتِ ثُلَاثِيَّةَ الأَبْعَادِ وَلُغَةَ الْمَرَايَا؟ وَكَيْفَ أَلُودُ بِأَخْيِلَةِ السُّورِيَالِيِّينَ السَّطْحِيَّةِ وَقَدْ هَنْدَسْتُ لِلْبَيَانِ "الْوَقْعَنَةَ التَّعْبِيرِيَّةَ" وَالْوُضُوحَ الآسِرَ عَبْرَ السَّهْلِ الْمُمْتَنِعِ؟ لَقَدْ تَهَلَّلَتْ نِعَمُ اللهِ السَّابِغَةُ عَلَى مَحَابِرِي حِينَ أَقَمْتُ "الْهَنْدَسَةَ الصَّوْتِيَّةَ" عَلَى فواصلَ مُمْدُودَةٍ مَرِيحَةٍ تَتَآخَى فِيهَا حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللِّينِ، فَتَتَطَابَقُ الْجُمَلُ فِي الطُّولِ النَّفَسِيِّ دُونَ تَكَلُّفٍ. إِنِّي أَرْبِطُ حَرَكَةَ الْمَجَرَّاتِ السَّاهِرَةِ وَأَفْلَاكِ الطَّبِيعَةِ الْحَيَّةِ بِحَرَكَةِ الضَّمِيرِ وَالرُّوحِ الْعَارِفَةِ؛ فَالْكَوْنُ

لَدَيَّ لَيْسَ مَادَّةً جَافَّةً، بَلْ هُوَ مِحْرَابٌ يَعْكِسُ صَفَاءَ الْمَبْدَأِ وَحَتْمِيَّةَ السُّنَنِ الإِلَهِيَّةِ.

فَالرُّوحُ الْعَارِفَةُ قَدْ حَطَّمَتْ أَغْلَالَ الْبَلَاغَةِ الْقَدِيمَةِ، وَأَسَّسَتْ بِالْفَاءِ السَّبَبِيَّةِ الْوَاصِلَةِ حِيَاكَةً مُسْتَمِرَّةً تَتَوَالَى فِيهَا الأَفْكَارُ كَالْفُسَيْفِسَاءِ الَّتِي تَلْتَقِي فِي الْعُمْقِ لَا فِي الظَّاهِرِ. إِنَّ خَزَائِنَ التَّشْطِيرِ وَالْعَمُودِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ تَجِفُّ وَتَزُولُ، أَمَّا النَّثْرُ الشِّعْرِيُّ الأُفُقِيُّ الْمَعْرُوضُ عَلَى نُورِ التَّجْدِيدِ النَّقِيِّ فَهُوَ ثَابِتٌ خَالِدٌ فِي أَلْوَاحِ الزَّمَانِ. فَلْيَسْتَقِرَّ هَذَا الْبَيَانُ دُسْتُوراً لِمَنْهَجِ مَدْرَسَتِي، وَلْتَبْقَ صَرْخَةُ السَّرْدِ التَّعْبِيرِيِّ عَهْداً تَهْتَدِي بِهِ النُّفُوسُ الْمُقْتَصِدَةُ إِلَى صَفَاءِ النَّبْعِ الأَدَبِيِّ وَثَبَاتِ الْمَصِيرِ الرُّوحِيِّ الأَبَدِيِّ.

قَصِيدَةُ رَجُلٍ عِرَاقِيٍّ بِقَلَمِ أَنْوَرَ غَنِيٍّ الموسَوِيِّ 2021"

إِنِّي رَجُلٌ عِرَاقِيٌّ؛ حَيَاتِي مُؤَجَّلَةٌ، وَوَجْهِي قَدْ سَرَقَتْهُ الحُرُوبُ، فَلَا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الجَمَالِ، وَلَا شَلَّالَاتِ "دِهْتِيَانَ". فَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الجَنُوبِ، حَيْثُ الأَحْلَامُ الخَضْرَاءُ تُلَوِّنُ رُمُوشَ الشَّمْسِ. اِبْتِسَامَتِي مُشَوَّشَةٌ بِالدُّوَارِ، لَكِنَّ عَيْنَيَّ بَرَّاقَتَانِ، لِذَا يُمْكِنُنِي السَّفَرُ عَبْرَ اللَّانِهَايَةِ كَالظِّلَالِ.

وَهَا انَا أَرَانِي هُنَا، مَعَ هَذَا الجَسَدِ السَّاكِنِ. شَابٌّ شَرْقِيٌّ يَغْرَقُ فِي تَرَدُّدِهِ المرِّ. فَأَنَا ابْنُ الرَّمْلِ، جَالِساً عَلَى قِمَّةِ التَّلِّ وَأُرَدِّدُ الأَغَانِيَ القَدِيمَةَ.

لَقَدْ غَدَوْتُ جِسْماً رَمَادِيّاً لَا أَعْرَفُ شَيْئاً عَنِ الشَّمْسِ. رَجُلٌ عَرَبِيٌّ نَشَأْتُ فِي وَسَطِ الصَّحْرَاءِ بِرُوحِي المالِحَةِ. حُلْمِي سَافَرَ مَعَ المسَاءِ مِثْلَ الأَشْجَارِ المهَاجِرَةِ، وَحَيَاتِي مُهْمَلَةٌ مِثْلَ قِطَّةٍ تَحْتَ المطَرِ.

أَقْضِي عُمْرِي فِي صَحْرَاءَ مَجْهُولَةِ الهُوِيَّةِ، لِذَا لَا يُمْكِنُكَ رُؤْيَةُ الدَّوَّامَاتِ فِي قَلْبِي، وَكُلُّ مَا يُمْكِنُنِي تَخَيُّلُهُ؛ هُوَ عَصَايَ الرَّمَادِيَّةُ.

إِنِّي رَجُلُ الصَّحْرَاءِ لَا أَعْرَفُ شَيْئاً عَنِ العُشْبِ. هَذِهِ الأَرْضُ، الَّتِي أُحِبُّهَا دَائِماً، تَقِفُ فَوْقَ كَتِفِي بِأَطْرَافٍ بَارِدَةٍ، لِذَا لَا يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ وَجْهِهَا الكَئِيبِ، لَكِنِّي أَتَلَمَّسُ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَرْكَانِهَا.

رَجُلٌ عَرَبِيٌّ انَا، خَلَوْتُ بِنَفْسِي وَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ هُنَا سِوَى أَرْوَاحٍ مَهْجُورَةٍ، لِذَلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أَغُوصَ فِي بِئْرِ جَدِّي وَأَشْرَدَ فِي حَقْلِهِ القَدِيمِ بَحْثاً عَنْ فَرَسِنَا الضَّائِعَةِ.

غَدَوْتُ غُصْناً عِجَافاً مِنْ فَجْرٍ سِحْرِيٍّ؛ لَا شَمْسَ عَلَى جَبْهَتِي وَلَا قُبْلَةَ عَلَى رَقَبَتِي. أَعْرِفُ الحُرِّيَّةَ جَيِّداً لَكِنْ لَا يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ الطَّرِيقِ.

مَا أَنَا إِلَّا طَائِرٌ أَعْمَى وَيَجِبُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْ قُبْلَةِ الحُرِّيَّةِ كَيْفَ أَرَى الحَيَاةَ. هُنَاكَ، عَلَى أَفْوَاهِ صُنَّاعِ الحُرِّيَّةِ، تَجِدُ تِلْكَ القُبُلَاتِ البَنَفْسَجِيَّةَ.

أَمْضِي نَفْساً حُرَّةً حَتَّى أَسْتَطِيعَ تَرْدِيدَ أَغَانِي العَصَافِيرِ بِدُونِ تَعَبٍ، وَتَعَلُّمَ أَصْوَاتِهِمُ الوَرْدِيَّةِ فِي التِّلَالِ.

أُحَاوِلُ زَرْعَ أَشْجَارٍ دَائِمَةِ الخُضْرَةِ لِطُيُورِنَا المُتْعَبَةِ لَكِنَّهَا تَنْتَظِرُ القَوَارِبَ الجَامِحَةَ.

إِنِّي ابْنُ الحَرْبِ؛ لَقَدْ تَمَّ جَرُّ عَبَاءَتِي البَالِيَةِ إِلَى مَكَانٍ شَاغِرٍ مِثْلَ بَقَرَةٍ تُحِبُّ النُّذُورَ. نَعَمْ هُوَ أَنَا.. خَيْمَةٌ بَعِيدَةٌ اخْتَفَى صَوْتُهَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

غَدَوْتُ ابْنَ الحُرُوبِ غَارِقاً فِي رِمَالِ القِصَصِ المجِيدَةِ لِلْجُنُودِ، وَأَسْتَمْتِعُ بِالأَسَاطِيرِ الَّتِي تَنْزِلُ فِي الصَّبَاحِ بِالسُّفُنِ الغَارِقَةِ.

وَهَا جِئْتُ رَجُلاً بَسِيطاً مِنَ الجَنُوبِ؛ بَشَرَتِي بُنِّيَّةٌ وَيُصْبِحُ لَوْنُهَا أَغْمَقَ عِنْدَمَا أَسْمَعُ عَنْ سَمَكِ السَّلَمُونِ العِمْلَاقِ فِي اليَابَانِ. لَدَيَّ قَهْوَةٌ رَائِعَةٌ تُلَوِّنُ أَيَّامِي لَكِنَّ القِصَّةَ لَا تَبْدَأُ مِنْ حُبُوبِ بُنِّ جَدِّي لِأَنَّ قَهْوَتِي مِنَ النَّوْعِ الفَوْرِيِّ.

مَا أَنَا إِلَّا رَجُلُ رَمْلٍ لَا أَعْرِفُ إِلَّا الجَفَافَ. نَعَمْ، أَسْمَعُ صَوْتَكِ وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَرَى وَجْهَكِ لَكِنْ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُحِبَّكِ لِأَنِّي رَجُلٌ أَصْفَرُ لَا يَجْلِبُ سِوَى الحُزْنِ.

وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ عَرَبِيٌّ وَمِثْلَكَ أَشْعُرُ بِقِيمَةِ الحَيَاةِ وَعُمْقِ الِابْتِسَامَةِ. لَدَيَّ عَائِلَةٌ وَأَطْفَالٌ، وَمِثْلَكَ أَنَا أُحِبُّ القَهْوَةَ وَآكُلُ البَيْضَ وَالجُبْنَ عَلَى الإِفْطَارِ.

أَقِفُ مُزَارِعاً مِنَ الجَنُوبِ وَكُلُّ مَا أَحْمِلُهُ فِي جَيْبِي البُرْتُقَالُ. مِنْ هُنَا أَنَا، مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، أَرْضِ الأَلَمِ؛ أَبِي الأَنِينُ وَأُمِّي البُكَاءُ.

إِنِّي ابْنُ الحَرْبِ؛ ذَاكِرَتِي سُرِقَتْ بِرَقْصَتِهَا الوَعْرَةِ، وَتَلَوَّنَ قَلْبِي بِرُوحِهَا الكَئِيبَةِ. عِنْدَمَا تَنْتَهِي حِكَايَاتُ الجِبَالِ عِنْدَ رُكْبَتَيْهَا البَارِدَةِ، سَتَجِدُنِي فِي زَوَايَاهَا المِلِيئَةِ بِالدُّخَانِ مَعَ ارْتِجَافِي المخِيفِ.

أَعْمَلُ طَبِيباً فِي مُسْتَشْفَى بَلْدَتِي الصَّغِيرَةِ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، أُحِبُّ الشُّعَرَاءَ. الشُّعَرَاءُ وَالأَطِبَّاءُ تَوْأَمَانِ، وَقَدْ شَرِبَا اللَّبَنَ الرُّوحِيَّ مِنْ نَفْسِ الثَّدْيِ المحَمَّلِ بِالآمَالِ وَالآلَامِ.

أَجِدُنِي قَارِئاً جَيِّداً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّاعِرَ وَالطَّبِيبَ قَارِئٌ جَيِّدٌ.

إِنِّي شَاعِرٌ بَابِلِيٌّ؛ أُحِبُّ أَزْهَارَ وَأَلْوَانَ فَسَاتِينِ كَشْمِيرَ. أُحِبُّ قَصَائِدَ "سِيمِيك" كَثِيراً وَأَتَمَنَّى أَنْ أَزُورَ مَعَاهِدَ الشِّعْرِ فِي نِيُويُورْكَ لَكِنِّي مَمْنُوعٌ، لِذَا أَنَا حَزِينٌ وَسَأَرْوِي هَذِهِ القِصَّةَ لِأَوْلَادِي.

مِنَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ جِئْتُ، وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ جَرِيمَتِي.

غَدَوْتُ رَجُلاً عِرَاقِيّاً يَسْتَيْقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ بِرُوحٍ شَاعِرِيَّةٍ وَخِطَابٍ إِيقَاعِيٍّ، وَأَقِفُ مَعَ رُسُومِي بِجَانِبِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّوِيلَةِ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَنْسَى ذَلِكَ الطِّينَ الَّذِي عَجَنَّاهُ بِأَلَمِنَا، وَالرِّمَالَ الَّتِي أَكَلْنَاهَا مَعَ رَغِيفِ الخُبْزِ.

لَسْتُ حِصَاناً وَلَا أَرْنَباً، وَعِنْدَمَا يُقَبِّلُ غُرُوبُ الشَّمْسِ خَشَبَنَا القَدِيمَ، أُدْرِكُ حَلَاوَةَ الحَيَاةِ الخَالِيَةِ مِنَ السِّيَاجِ، لَكِنْ عِنْدَمَا تَقِفُ كُلُّ هَذِهِ الخُيُولِ مَعَ أَبْطَالِهَا عَلَى ظَهْرِي، فِي ذَلِكَ الوَقْتِ سَأَتَذَكَّرُ أَطْفَالَ حَرْبِنَا.

فَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ عِرَاقِيٌّ؛ صَوْتِي خَفِيفٌ كَالظِّلِّ، وَمَلَابِسُ أَحْلَامِي قَصِيرَةٌ كَالضَّحِكِ. أَجْلِسُ خَلْفَ الأَشْجَارِ لِأَرَى مَجْدَهَا، وَأَتَلَاشَى فِي كَلِمَاتِهَا: "كُلُّ شَيْءٍ لَهُ رُوحُ نَهْرٍ، حَتَّى أَنْتَ".

بِتُّ عِرَاقِيّاً لَا أَعْرِفُ إِلَّا المَوْتَ وَلَا أَرَى إِلَّا الظَّلَامَ. أَرْضِي، عَلَى عَكْسِ قَارَّةِ "وِيتْمَانَ"، كَانَتْ مُنْغَمِسَةً فِي صَحْرَاءَ قَاتِمَةٍ، وَبِالْكَادِ أَقِفُ فِي لَيَالٍ بِلَا قَمَرٍ وَأَيَّامٍ بِلَا شَمْسٍ.

إِنِّي، ابْنُ الحَرْبِ، لَا أَسْتَطِيعُ قِرَاءَةَ شِعْرِ "وِيتْمَانَ"، لِأَنَّ عَيْنَيَّ سُرِقَتْ، وَكُلُّ عُيُونِ "وِيتْمَانَ" الَّتِي كَانَتْ قَدْ رَأَتِ الشَّهْوَةَ مَحَاصَرَةٌ.

غَدَوْتُ ابْنَ حَرْبٍ بَارٍ، لِذَا فَأَنَا مِرْآتُهَا. أُنْظُرْ إِلَى مَائِي، إِنَّهُ مُتَّسِخٌ، وَانْظُرْ إِلَى مُسْتَقْبَلِي، إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى غُمُوضٍ.

لَسْتُ فِي مُعَادَاةٍ "وِيتْمَانِيَّةٍ"، وَالأَرْوَاحُ البَشَرِيَّةُ مُعْجِزَاتٌ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مُعْجِزَةَ الجَمَالِ كَمَا رَآهُ. هَا هِيَ حَيَاتِي الفَارِغَةُ، لَيْسَ لَدَيَّ طِفْلٌ مِنَ العُشْبِ وَلَا يُوجَدُ فِي دَاخِلِي مَا يُمْكِنُ أَنْ يَقِفَ لِيَرَى المَجْدَ. أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّ "وِيتْمَانَ" لَوْ كَانَ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ الآنَ لَبَكَى بِمَرَارَةٍ، وَلَنَسِيَ عَطَشَهُ إِلَى الأَبَدِ.

فَمَا أَنَا إِلَّا عَارِفٌ بِأَرْضِ "وِيتْمَانَ" العَظِيمَةِ، وَنُزُولِهِ الرَّاقِي، وَقَارَّتِهِ الشَّاسِعَةِ، لَكِنَّنِي لَسْتُ ظِلّاً وَلَا هَامِشاً.

فَمَا أَنَا عِنْدَكَ إِلَّا مُجَرَّدُ طَرِيقٍ وَسَيَّارَةٍ رَدِيئَةٍ لِكُلِّ هَذَا الِازْدِهَارِ. نَعَمْ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ البَشَرِيَّةَ كَوْنٌ كَبِيرٌ، وَأَنَّ "وِيتْمَانَ" ـ الحَيَاةَ ـ لَنْ تَمُوتَ.

إِنِّي مُجَرَّدُ ظِلٍّ هَامِدٍ؛ رَأَتْ عُيُونُ "وِيتْمَانَ" الأَلَمَ، لَكِنَّ أَبْنَاءَهُ لَمْ يَرَوْا أَلَمِي. يَا بَنِي "وِيتْمَانَ"، أَنَا أَتَأَلَّمُ، فَهَلْ تَسْمَعُونَنِي؟

غَدَوْتُ مَخْلُوقاً هَامِداً وَحِكَايَةً غَيْرَ مَوْجُودَةٍ. شَابٌّ عَرَبِيٌّ نَشَأْتُ لَا أَسْتَطِيعُ العَيْشَ بِسَعَادَةٍ.

وَهَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ القَرْنِ الحَادِي وَالعِشْرِينَ، وَقَدِ انْغَمَسَتْ سَاقَايَ فِي رُوحِ الأَرْضِ كَبَقَرَةٍ عَجُوزٍ. لَا أُحِبُّ الظَّلَامَ وَلَا صَوْتَهُ البَارِدَ، لَكِنَّ يَدِي كَانَتْ مُتَجَمِّدَةً مِثْلَ مِعْطَفِ المَرْأَةِ، وَقُلُوبُ أَصْدِقَائِي كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى أَشْجَارِ البَرْدِ الغَائِبَةِ.

وَإِنَّمَا أَنَا مُسْلِمٌ مِنَ العِرَاقِ، وَكَأَيِّ إِنْسَانٍ أُحِبُّ الشَّمْسَ وَلَدَيَّ أَحْلَامٌ.

لَسْتُ أَمْرِيكِيّاً وَلَا بَرِيطَانِيّاً، لِذَلِكَ لَيْسَ لَدَيَّ صَدِيقٌ مِنْ هَذِهِ البِلَادِ. نَعَمْ، وَالِدِي كَانَ لَدَيْهِ عِقَالٌ وَجَدِّي كَانَ لَدَيْهِ عَبَاءَةٌ مِنَ الصُّوفِ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَجْعَلُنِي مَخْلُوقاً مَرْفُوضاً.

أَعْرِفُ نَظَرَاتِ الطُّيُورِ وَأَصْوَاتَ المَاءِ، وَأَعْرِفُ حِكَايَاتِ القَمَرِ وَأَحْلَامَ العُشَّاقِ، لَكِنَّ هَذَا لَنْ يُسَاعِدَ فِي مَنْعِ رَفْضِكُمْ لِي المَنْزُوعِ مِنَ التَّبْرِيرِ.

لَسْتُ مَخْلُوقاً قَبِيحاً، وَحِجَابُ وَالِدَتِي هُوَ الحِفَاظُ عَلَى الجَمَالِ لِلَحْظَةٍ خَاصَّةٍ، وَلَيْسَ لِإِخْفَاءِ النُّفُورِ. إِنِّي كَاتِبٌ مُسْلِمٌ مِنَ العِرَاقِ، وَلَسْتُ إِرْهَابِيّاً كَمَا تَعْتَقِدُونَ.

فَمَا أَنَا إِلَّا وَرَقَةٌ جَافَّةٌ مِنَ العِرَاقِ لَا تَعْلَمُ شَيْئاً عَنِ الجَمَالِ أَوِ الفَنَّانِينَ، وَكُلُّ مَا أَعْرِفُهُ هُوَ دِمَاءُ الحَرْبِ وَحِكَايَاتُهَا. هُنَا، فِي صَدْرِي المَكْسُورِ، طِفْلٌ شَاحِبٌ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ الوَاسِعَةِ بِرُوحٍ صَغِيرَةٍ، وَيَسِيرُ فِي هَذَا العَالَمِ السَّاطِعِ بِوَجْهٍ خَفِيٍّ.

غَدَوْتُ رَجُلاً عِرَاقِيّاً، رُوحِي عُجِنَتْ بِحِكَايَاتِ الحَرْبِ وَالصَّوْتِ الحَزِينِ. شَوَارِعِي الَّتِي تَغْمُرُهَا عُطُورُ الحَرْبِ كَانَتْ مُتَنَاثِرَةً فِي صَحْرَاءِ الحُزْنِ، وَمِثْلَ فَتَيَاتِنَا، يَحْلَمْنَ دَائِماً بِأَيَّامٍ خَالِيَةٍ مِنَ الكَلَلِ.

حَاوَلْتُ، كَأَيِّ حِكَايَةٍ مُظَلَّلَةٍ، إِخْفَاءَ أَزْهَارِي المِيّتَةِ بِعَبَاءَةٍ مُهْتَرِئَةٍ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُكَ رُؤْيَةُ أَيِّ صُورَةٍ لِلْعِطْرِ الَّذِي تَمَّ إِحْيَاؤُهُ.

إِنِّي رَجُلُ عَبَاءَةٍ؛ مَائِي رَمَادِيٌّ وَكُلُّ هَذِهِ العَبَاءَاتِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْفِيَ حُزْنَهَا. وَهَا أَنَا الرَّجُلُ العَارِي، وَلَيْسَ مِنَ الغَرِيبِ أَنْ أَرَى قَدَمَيَّ مُنْغَمِسَتَيْنِ بِعُمْقٍ فِي كُلِّ قِصَّةٍ لَا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهَا.

فَمَا أَنَا إِلَّا عَبَاءَةُ الحُزْنِ؛ أَرْضِي صُورَةُ بُكَاءٍ، وَنِسَائِي قَوَارِبُ الأَنِينِ.

أَقْضِي عُمْرِي فِي مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ، وَبَعْدَ كُلِّ صَلَاةِ جُمُعَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ مُظَاهَرَةٌ فِي شَوَارِعِهَا الضَّيِّقَةِ. تُعْجِبُنِي المظَاهَرَةُ بِسَبَبِ حَدَاثَتِهَا وَلِأَنَّهَا مَمْنُوعَةٌ فِي بَلَدِي مُنْذُ عُقُودٍ.

لَسْتُ رَجُلاً ثَوْرِيّاً وَأُحَاوِلُ دَائِماً السَّيْرَ بِجَانِبِ الحَائِطِ، لَكِنَّ عُصْفُورِي الصَّغِيرَ لَدَيْهِ رُوحٌ مُتَحَمِّسَةٌ، وَفِي وَقْتِ سُقُوطِ النِّظَامِ سُرْعَانَ مَا غَيَّرَ لَوْنَهُ إِلَى لَوْنٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ مُصْفَرٍّ.

غَدَوْتُ ابْنَ العَمَى لَا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ اللَّوْنِ البُرْتُقَالِيِّ المُذْهِلِ لِغُرُوبِ الشَّمْسِ. إِنِّي رَجُلٌ رَمَادِيٌّ، لَا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ العُطُورِ الزَّاهِيَةِ، وَتَلَاشَتْ أَحْلَامِي كَخَشَبٍ قَدِيمٍ.

وَهَا أَنَا ابْنُ الحُرُوبِ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ هُوَ فَلَقِي المعَطَّلَةُ. لَا أَتَذَكَّرُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ الفَسَاتِينِ الهَادِئَةِ؛ لِأَنَّ عَرَائِسَ بَلْدَتِنَا قُتِلْنَ قَبْلَ زِفَافِهِنَّ، وَوَجْهُ أَرْضِنَا حَطَّمَهُ المجْهُولُ.

مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ عِرَاقِيٌّ مِنَ الشَّرْقِ. لَوْنِي مُخْتَلِفٌ عَنْ لَوْنِ صَدِيقِي مِنَ الغَرْبِ، لَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ نَحْنُ فِي عَلَاقَةٍ حَمِيمَةٍ عَمِيقَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ عُشَّاقُ القَمَرِ تَخَيُّلَهَا.

فَقَدْ جِئْتُ رَجُلاً عِرَاقِيّاً رُوحِي عُجِنَتْ بِالنَّخْلِ، وَأَحْلَامِي انْغَمَسَتْ فِي عِطْرِ العَنْبَرِ، وَتَقَطَّعَتْ فِي صَحْرَاءِ السِّمَاكِ الحَزِينِ. تَرَانِي مِنَ الجنُوبِ حَيْثُ الأَشْجَارُ جَافَّةٌ وَالأَنْهَارُ بِلَا مَاءٍ، سَمَاؤُنَا مُظْلِمَةٌ وَشَمْسُنَا ضَبَابِيَّةٌ.

أَقِفُ مِنْ ذَلِكَ الجَنُوبِ حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ عَدِيمُ اللَّوْنِ؛ الحُقُولُ لَهَا بَنَاتٌ لَكِنَّ الشَّوَارِعَ دَائِماً عَمْيَاءُ. وَلَكِنِّي أَخْتَفِي بِسَعَادَةٍ فِي ضَوْءِ الأُمَّهَاتِ؛ فَقَلْبِي، مِثْلَ طَائِرٍ عَلَى غُصْنٍ جَلِيدِيٍّ، سَوْفَ يَتَلَاشَى فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ تَرَانِيمِهِنَّ.

فَمَا أَنَا إِلَّا مَاءُ نَهْرٍ، وَفِي نَظَرِ أُمِّي، أَنَا وَرَقَةٌ صَغِيرَةٌ؛ حُبِّي هُوَ تِلْكَ الرِّيحُ الَّتِي تَسْتَطِيعُ عُبُورَ كُلِّ الغُيُومِ، وَهَذَا العُشْبُ الَّذِي يُعَانِقُ كُلَّ مَاعِزِ العَالَمِ، لَكِنَّ قَلْبَ الأُمِّ هُوَ عَالَمٌ مُخْتَلِفٌ وَمُسْتَحِيلٌ فِي وَحْدَتِهِ.

أَقِفُ مُزَارِعاً مِنَ الجَنُوبِ لَا أَحْمِلُ فِي جَيْبِي سِوَى البُرْتُقَالِ. انْظُرْ إِلَى وَجْهِي، إِنَّهُ بُنِّيٌّ، وَانْظُرْ إِلَى يَدَيَّ، إِنَّهُمَا بَيْضَاوَانِ.

مِنْ هُنَا أَنَا، مِنْ هَذَا الجَنُوبِ؛ رَجُلٌ شَرْقِيٌّ رُوحُهُ حَالِمَةٌ. بِتُّ حَالِماً مِنَ الجَنُوبِ؛ قَلْبِي لَا يَحْمِلُ سِوَى الحُبِّ البَسِيطِ، وَفَمِي يَبْتَسِمُ بِلَا سَبَبٍ.

وَلَسْتُ مِرْآةً كَبِيرَةً مُخَادِعَةً، لَكِنِّي أَشْعُرُ أَنَّنِي ظِلٌّ مُلَوَّنٌ يَبْحَثُ عَنْ زَهْرَةٍ فَرِيدَةٍ، وَعِنْدَمَا أَجِدُهَا، تَقُولُ: "يَا طَالِبُ، أَحْيَاناً تَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ أَعْمَى لِتَرَى بِوُضُوحٍ". أَسْمَعُ صَوْتَهَا وَأَرَى وَجْهَهَا فِي قَلْبِي، لِأَنِّي رَجُلٌ أَعْمَى.

غَدَوْتُ عَاصِفَةً غَيْرَ مُكْتَمِلَةٍ تَحْمِلُ الأَحْلَامَ المشَوَّشَةَ بِأَقْدَامٍ صَغِيرَةٍ. عَيْنَيَّ رَائِعَتَانِ كَسَفِينَةِ الِاكْتِشَافِ وَبَشَرَتِي سِرٌّ عَدِيمُ اللَّوْنِ. إِنِّي غَيْرُ مُكْتَمِلٍ، لِذَا تَرَى كَلِمَاتِي تَتَدَفَّقُ بِحُرِّيَّةٍ وَبِجُنُونٍ.

فَمَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ بِسُمْرَةِ الشَّمْسِ وَلَكِنَّنِي لَسْتُ غَامِضاً، لِذَا يُمْكِنُنِي عَدُّ أَصَابِعِي بِسُهُولَةٍ لِأَنِّي حُلْمٌ مِثْلُ الحِكَايَاتِ القَدِيمَةِ لِأُمِّي. مِنْ هُنَا أَنَا؛ مِنَ الجَنُوبِ حَيْثُ حُقُولُ جَدِّي، لِذَا أَنَا دَائِماً أَخْتَفِي فِي أَسْرَارِ يَنَابِيعِنَا.

وَهَا أَرَانِي أُبْصِرُ صُورَةَ "تْرَامْبَ" كُلَّ يَوْمٍ، فَالأَيَّامُ مَلِيئَةٌ بِالأَخْبَارِ عَنْهُ بِجُنُونٍ. فِي فُطُورٍ، وَعِنْدَ الغَدَاءِ، وَعِنْدَ العَشَاءِ، وَعِنْدَمَا أَخْلُدُ لِلنَّوْمِ، كَانَتْ هُنَاكَ صُوَرٌ لِـ"تْرَامْبَ" المشْهُورِ. إِنِّي شَيْءٌ إِضَافِيٌّ وَلَا يَجِبُ أَنْ أَرَى وَجْهِي فِي المِرْآةِ، لَكِنَّ "تْرَامْبَ" يُشِيرُ إِلَى وُجُودِي حَتَّى بِطَرِيقَةِ الكَرَاهِيَةِ. يَجِبُ أَنْ أَشْكُرَ "تْرَامْبَ" لِأَنَّهُ كَانَ يُذَكِّرُ العَالَمَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئاً مَنْسِيّاً يَعِيشُ مَعَ أَلَمِ العَالَمِ تَحْتَ رِمَالِ هَذِهِ الأَرَاضِي الشَّرْقِيَّةِ حَيْثُ وَقَعَتْ كُلُّ حُرُوبِ العَالَمِ. لَسْتُ يَسُوعاً جَدِيداً، وَلَكِنَّ هَذَا العَالَمَ قَدْ حَطَّمَ وَجْهِي وَنَسِيَ كُلَّ مَسْرَحِيَّاتِهِ فِي حَيَاتِي.

بِتُّ رَجُلاً عَدِيمَ اللَّوْنِ وَلَهُ وَزْنٌ ضَئِيلٌ، وَكُلُّ مَا يُمْكِنُنِي فَهْمُهُ هُوَ رَوْعَةُ قَوْسِ قُزَحِ "تْرَامْبَ". لَسْتُ سِوَى أُغْنِيَةٍ مَرِيرَةٍ رَاكِعَةٍ بِخُنُوعٍ. كَانَت | مَلَابِسِي تَتَطَايَرُ مَعَ رِيَاحٍ غَرِيبَةٍ، وَكَانَ حُلْمِي يَكْتَنِفُهُ الغُيُومُ الَّتِي تُدَمِّرُ أَيَّامِي. كُنْتُ أَبْدُو كَبَقَرَةٍ صَامِتَةٍ تَضَعُ نَظَّارَاتٍ سَوْدَاءَ عَلَى عَيْنَيْهَا العَمْيَاوَيْنِ. هَذَا أَنَا، لَا شَيْءَ سِوَى الحُزْنِ وَكُلُّ شَيْءٍ بِدُونِ وُجُودٍ. حَيَاتِي مُؤَجَّلَةٌ وَرُوحِي خَرَابٌ.

إِنِّي، حَسَبَ "تْرَامْبَ"، مَخْلُوقٌ خَطِيرٌ؛ إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَرَى دَمِي يَمْلَأُ الأَنْهَارَ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَةَ أَشْجَارِي المحْتَرِقَةِ. أَنَا مُدْمِنٌ عَلَى السَّمَكِ, لَكِنْ فِي طُفُولَتِي، لَمْ يُعْجِبْنِي ذَلِكَ. هُنَا، فِي العِرَاقِ، "الزَّفِيرُ" هُوَ اسْمٌ شَعْبِيٌّ أُطْلِقَ عَلَى رَائِحَةِ السَّمَكِ، لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا قَدْ يَأْتِي مِنَ اللَّوْنِ الجَمِيلِ لِـ"غُوبِي" حَيْثُ يَتَغَيَّرُ شَكْلُ لَوْحَةٍ حَالِمَةٍ.

أَقْضِي عُمْرِي رَجُلاً غَرِيباً قَادِماً مِنْ أَرْضٍ مَنْسِيَّةٍ، وَأُحَاوِلُ دَائِماً إِظْهَارَ جَوَازِ سَفَرِي النَّظِيفِ، وَبِابْتِسَامَةٍ تَعْنِي الكَثِيرَ، فَإِنَّهُ لَا يَقِفُ لِيُحَيِّينِي - أَعْنِي "تْرَامْبَ"؛ رَئِيسَ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ - وَلَكِنْ لِيُلَوِّحَ بِصَرَاحَةٍ أَنَّنِي غَيْرُ مَرْحَبٍ بِي. لَسْتُ صَانِعَ شِعْرٍ بَصَرِيٍّ مُحْتَرِفاً، لَكِنَّ أُمِّي أَخْبَرَتْنِي أَنَّ البَشَرَ لَدَيْهِمْ أَرْوَاحٌ نَاعِمَةٌ وَحَسَّاسَةٌ. وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَعْرِفُ وَالِدَتِي القَلِيلَ عَنْ سِحْرِ "تْرَامْبَ"، فَإِنَّهَا سَتُغَيِّرُ فِكْرَتَهَا عَنْ قُوَّةِ السِّحْرِ.

فَمَا أَنَا إِلَّا ابْنُ بَابِلَ لَكِنَّ "تْرَامْبَ" هُوَ ابْنُ المَلِكَةِ. مَاذَا سَيَحْدُثُ إِذَا قُمْنَا بِتَبْدِيلِ مَكَانِ مِيلَادِنَا؟ لَكِنْ بِصَرَاحَةٍ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَيَّلَ نَفْسِي كَابْنِ مَلِكَةٍ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَيَّلَ "تْرَامْبَ" كَابْنِ مُزَارِعٍ. إِنِّي، وَفْقاً لِـ"تْرَامْبَ"، مَخْلُوقٌ مُنْقَرِضٌ، لِذَا هُوَ يُحَاوِلُ تَعْلِيقَ حَيَاتِي عَلَى الجِسْرِ الغَائِبِ، ثُمَّ يَظْهَرُ عَلَى شَاشَةِ التِّلْفِزْيُونِ لِيَقُولَ إِنِّي أُسْطُورَةٌ. رَجُلٌ عَرَبِيٌّ سُرِقَتْ حَيَاتُهُ وَتَأَجَّلَتْ أَحْلَامُهُ. أَنَا، حَسَبَ قَوْلِ "تْرَامْبَ"، رَجُلٌ خَطِيرٌ وَيَدِي لَا تَسْتَطِيعُ رَسْمَ أَيِّ لَوْحَةٍ جَمِيلَةٍ.

نَشَأْتُ رَجُلاً عِرَاقِيّاً لَا يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الحُرِّيَّةِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي وَالِدِي أَنَّ هُنَاكَ خَيْمَةً كَبِيرَةً فِي نِيُويُورْكَ، وَتَحْتَ سَقْفِهَا المُتَحَمِّسِ هُنَاكَ رَجُلٌ حُرٌّ يَرْتَدِي الِابْتِسَامَاتِ لِلْأَجَانِبِ. لِذَا فَإِنِّي قَدْ وَضَعْتُ فِي حَقِيبَتِي قَصَائِدِي، بَعْضَ الزُّهُورِ، حِكَايَاتِ وَالِدِي، مَعَ بَعْضِ قَصَائِدِ "إِدْسُونَ" وَبَعْضِ أَقْوَالِ رَجُلٍ حُرٍّ أَمْرِيكِيٍّ، لَكِنْ كَمَا تَرَوْنَ أَنَا مَمْنُوعٌ مِنْ دُخُولِ نِيُويُورْكَ.

إِنِّي أَعْسَرُ وَتَعَلَّمْتُ الكِتَابَةَ قَبْلَ سِنِّ المَدْرَسَةِ، لَكِنِّي أُصِبْتُ بِالحُمَّى عِنْدَمَا قَرَأْتُ "عِشْرِينَ كَلِمَةً الأَكْثَرَ اسْتِخْدَاماً لِدُونَالْدَ تْرَامْبَ". أَنَا مِنَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ وَالعَدِيدُ مِنْ أَبْنَاءِ شَعْبِي مُهَاجِرُونَ، لِذَلِكَ وَفْقاً لِمَدْرَسَةِ "تْرَامْبَ"، فَأَنَا غَبِيٌّ وَخَاسِرٌ وَمِنْ "هُمْ". أَنَا حَسَبَ رُؤْيَةِ "تْرَامْبَ"؛ مَعْتُوهٌ وَخَفِيفُ الوَزْنِ وَلَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ حُقُوقٍ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ. أَنَا سَيِّءٌ وَخَطِيرٌ وَخَطِيرٌ حَقّاً وَلَسْتُ مِنْ "نَحْنُ". عِنْدَمَا أَكْتُبُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ، أَتَذَكَّرُ جَدِّي يَقُولُ: "إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ تَغْيِيرَ مَصِيرِ شَيْءٍ مَا، يُمْكِنُكَ فِعْلُ ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ كَلِمَاتِكَ عَنْهُ".

وَمَا أَنَا بِصَحَفِيٍّ وَلَا مُدَرِّسٍ، لَكِنِّي مُزَارِعٌ بَسِيطٌ أَعْرِفُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً عَنْ أَلْوَانِ الفَرَاشَاتِ الَّتِي تَعِيشُ تَحْتَ ظِلَالِ النَّخِيلِ. لَسْتُ الرَّئِيسَ لَكِنَّ "تْرَامْبَ" هُوَ رَئِيسُ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ شُحُوبِ نَخِيلِ البَصْرَةِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ "تْرَامْبَ" هُوَ آخِرُ إِمْبَرَاطُورٍ.

غَدَوْتُ ابْنَ الحَرْبِ أَقُومُ مِنْ شُقُوقِهَا المُتَفَحِّمَةِ كَظِلٍّ مَرِيرٍ. فِي تِلْكَ الجَزِيرَةِ المُرْجَانِيَّةِ الَّتِي أَخْبَرَنِي عَنْهَا المُهَاجِرُونَ، كَانَتْ هُنَاكَ خَيْمَةٌ مِنَ الدِّفْءِ الرَّائِعِ. لَسْتُ رَجُلاً حَالِماً، وَلَكِنْ عِنْدَمَا أَرَى رَوْعَةَ هَذَا العَالَمِ، أَتَذَكَّرُ حُزْنِي الإِجْبَارِيَّ وَالضَّعْفَ غَيْرَ العَادِلِ. أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الجِنِّيَّاتِ حَتَّى مَا يَرْتَدِينَهُ فِي الصَّبَاحِ. لَقَدْ رَفَعْنَ مِنْ نَوَافِذِهِنَّ حِكَايَاتِهِنَّ وَأَرْجَحْنَ نِهَايَاتِهِنَّ المُلَوَّنَةَ بِالبَهْجَةِ. إِنَّهُنَّ لَسْنَ مِثْلِي دَائِماً فِي السَّعَادَةِ، وَيَبْحَثْنَ دَائِماً عَنِ المَاءِ البَارِدِ.

وَإِنَّمَا أَنَا رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدَّمَارِ حَيْثُ يُعَلِّقُ هَذَا العَالَمُ رُوحِي عَلَى حَبَّةِ ذُرَّةٍ مُلْتَهِبَةٍ فِي العُمْقِ فِي السَّابِعِ تَحْتُ. سَأُحَاوِلُ أَنْ أَطْلُبَ مِنَ السَّاحِرِ اكْتِشَافَ سِحْرِي السَّيِّءِ لِإِنْهَاءِ هُرُوبِ الحَيَاةِ. وَبِالمُنَاسَبَةِ سَأَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي القَلِيلَ مِنْ رِيشَةِ الجِنِّيَّاتِ لِإِضَاءَةِ أَيَّامِي المُظْلِمَةِ.

بِتُّ مُزَارِعاً قَدِيماً لَا أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ شَكْلِي إِلَّا عَلَى وَجْهِ المَاءِ. كُنْتُ صَغِيراً مِثْلَ حُلْمِي، فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كُنْتُ طِفْلاً ذَائِباً فِي أَلْوَانِ الفَرَاشَةِ. أَنَا طَائِرٌ حُرٌّ، أُحِبُّ رَائِحَةَ الطِّينِ، وَلِأَنَّ وَالِدِي زَرَعَنِي بِذْرَةَ قَمْحٍ فِي حَدِيقَتِنَا الصَّغِيرَةِ، فَأَنَا أُحِبُّ شَمْسَ الظَّهِيرَةِ عِنْدَمَا تُلامِسُ وَجْهِي. لَسْتُ سَعِيداً وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخْبِرَكَ عَنِ العَاطِفَةِ النَّارِيَّةِ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَتَذَكَّرَ طَائِرِي الصَّغِيرَ وَدَمَهُ الرَّخِيصَ.

أُرِيدُ العَيْشَ فِي بَسَاطَةٍ، أَمْشِي فِي أَزِقَّةِ بَلْدَتِي مَعَ هَزَّاتِ النَّسِيمِ مَعَ أَعْمَاقِي. أَشْعُرُ الآنَ بِالمَلَلِ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ الصَّاخِبَةِ. الطُّيُورُ قَلِيلَةٌ فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ. أُحَاوِلُ أَنْ أَزْرَعَ شَجَرَةً مِنْ هَذَا النَّوْعِ الَّذِي يُزْهِرُ فِي الشِّتَاءِ لِأَجْعَلَ الطُّيُورَ تَعِيشُ بِلَا اغْتِرَابٍ، أَوْ بِكَلِمَةٍ دَقِيقَةٍ لِأَعِيشَ بِلَا اغْتِرَابٍ.

مَا أَنَا إِلَّا ابْنُ الحَرْبِ؛ لَا أَعْرِفُ شَيْئاً سِوَى الدُّخَانِ وَلَا أَرَى شَيْئاً سِوَى الأَلْوَانِ السَّوْدَاءِ. أَفْكَارُنَا امْتَلَأَت بِالدُّمُوعِ المالِحَةِ وَأَطْفَالُنَا يَرْقُدُونَ فِي الشَّوَارِعِ الجَافَّةِ كَصُخُورٍ رَخِيصَةٍ. رَجُلٌ مِنَ العِرَاقِ أَنَا، فَهَلْ تَرَانِي؟ يَا

لَلْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي نَسِيَتْنِي كَمَخْلُوقٍ مُنْقَرِضٍ. أَنَا الجُثَّةُ الَّتِي ضَرَبَتْهَا حُمَّى الصَّمَمِ. أَسِيرُ عَلَى طُرُقَاتٍ حَافِيَةٍ كَأَنَّنِي غَرِيبٌ، لَا شَيْءَ يَعْرِفُنِي سِوَى البَرْدِ. فِي رُوحِي المِلْحُ لَا أَرَى شَيْئاً سِوَى أَنِينٍ. هَذَا أَنَا: ظِلُّ مِلْحٍ يَحْلُمُ بِيَدٍ مَائِيَّةٍ.

إِنِّي مُجَرَّدُ كَوْمَةٍ مِنْ بَقَايَا المِلْحِ؛ أَشْبَاحُهُمْ تَرْكَبُ عَلَيَّ كَحِصَانٍ أَعْمَى لِذَا فَأَنَا لَا أُجِيدُ إِلَّا الِاشْتِبَاكَ مَعَ أَشْجَارِي. لَا أَرَى كُلَّ هَذَا المِجْدِ، لَكِنْ يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ حَجَرٍ يَنْزِفُ مِنْ قَدَمِي وَجِذْعٍ خَشِنٍ يَشُقُّ رَأْسِي. لَقَدِ انْغَمَسْتُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ غَرِيبَةٍ رَائِعَةٍ وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَشُمَّ رَائِحَةَ زُهُورِ البَحْرِ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُحِبَّكِ لِأَنِّي مُجَرَّدُ بَقَايَا حَرْبٍ لَا قَلْبَ لَهَا. أَنَا ابْنُ الحَرْبِ لِذَا أَعْرِفُهَا وَأَصْوَاتَهَا القَبِيحَةِ. إِنَّهَا حِكَايَةٌ رَمَادِيَّةٌ تَلْبَسُ عَبَاءَتَهَا الحَمْرَاءَ فِي اللَّيَالِي المُنْعَزِلَةِ. لَسْتُ اسْتِثْنَائِيّاً وَأُحَاوِلُ دَائِماً السَّيْرَ بِجَانِبِ الحَائِطِ لَكِنَّ صَدِيقِي لَدَيْهِ رُوحٌ مُتَحَمِّسَةٌ وَقَدْ غَيَّرَ لَوْنَهُ سَرِيعاً لِيُمْسِكَ أَيَّ بَقَايَا.

وَلَسْتُ مُسَافِراً كَبِيراً، لَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ أَنِّي لَنْ أَرَى مِثْلَ هَذِهِ الأَرْضِ السَّاحِرَةِ. لَسْتُ فِي الأَرْضِ القَاحِلَةِ الآنَ، لَكِنَّ رِيَاحَهَا الجَافَّةَ تُلَوِّنُ أَحْلَامِي. أَنَا مِنَ الجَنُوبِ حَيْثُ الشَّمْسُ بَارِدَةٌ وَالأَنْهَارُ بِلَا مَاءٍ. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَكِ وَرْدَةً لِأَنَّ صَيْفَنَا قَاتِلُ الأَزْهَارِ الماهِرُ، وَلِذَا فَقَدْ تَقَاعَدَتْ فَرَاشَاتُنَا فِي يَوْمٍ مَجْهُولٍ. إِنِّي إِنْسَانٌ بِلَا شَكْلٍ وَمِثْلُ الطُّيُورِ؛

بَيْتِي هُوَ عُشٌّ بَسِيطٌ تَحْتَ شَمْسٍ لَا تَرْحَمُ. أُنْظُرْ إِلَى بَشَرَتِي، إِنَّهَا جَافَّةٌ وَانْظُرْ إِلَى عَيْنَيَّ؛ هُمَا وَهْمٌ.

رَجُلٌ أَنَا مِنَ الجَنُوبِ حَيْثُ تُغَطِّي الجَدَاوِلُ حُقُولَنَا لَكِنْ لَا أَتَذَكَّرُ أَحَداً. كَانَ جَدِّي مُزَارِعاً مِنَ الجَنُوبِ وَكَانَ يَقْرُنُ فِي جَدَاوِلِهَا. أَنَا زَهْرَةٌ مِنْ مُدُنِ الرِّمَالِ أُعَانِي مِنَ الحُبِّ كَمَا كَانَ رَاعٍ يَغْرَقُ فِي الخَلِيجِ. أَقِفُ فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ، وَأَعُدُّ أَنْفَاسَ الحَنِينِ.

غَدَوْتُ رَجُلاً مُتَوَحِّشاً يَعْرِفُ أَصْوَاتَ الحَيَوَانَاتِ وَلَكِنْ لَسْتُ نَقِيّاً مِثْلَهَا. الدِّبَبَةُ لَيْسَت خَشِنَةً وَلَا بُنِّيَّةً وَالبُومَةُ شَظِيَّةٌ وَتَرَى الحَقِيقَةَ. فِي هَذَا المجْدِ، كُنْتُ أَبْتَسِمُ فِي الصَّبَاحِ وَكُنْتُ أَجْلِسُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي بُحَيْرَةٍ لَمْ أَتَذَكَّرِ اسْمَهَا. الآنَ أَنَا بِلَا جُذُورٍ. فَقَدَ كُوخِي الصَّغِيرُ خُيُوطَهُ وَمُلَوَّنٌ عَبَاءَتِي بِالنِّسْيَانِ. أَنَا أَبْكِي مِنْ أَجْلِ أَشْجَارِي الثَّمِينَةِ. لَقَدْ نَسِيتُ أَلْوَانَهُمْ وَأَصْوَاتَهُمْ. أَنَا حَزِينٌ جِدّاً وَعَدِيمُ اللَّوْنِ وَلَا أَتَذَكَّرُ أَبَداً ابْتِسَامَاتِ أَشْجَارِي المَفْقُودَةِ.

فَمَا أَنَا إِلَّا شَجَرَةٌ صَفْرَاءُ مَعَ هَمَسَاتٍ بَارِدَةٍ. أَنْتَظِرُ أَحْلَاماً مضلَّلَةً. سُرِقَتْ شَوَارِعُنَا وَلَا تَعْرِفُ جَدَاوِلِي شَيْئاً سِوَى الشُّحُوبِ. أَنَا مُزَارِعٌ كَبِيرٌ وَكُلُّ هَذِهِ الرِّيَاحِ المنْعَزِلَةِ لَا تَجِدُ مَكَاناً عَلَى لِسَانِي. مِثْلَ الوَرَقَةِ الخَضْرَاءِ، لَا أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ وَجْهِي وَلَكِنْ فِي الماءِ، وَكُلُّ قُبُلَاتِ جِبَالِ الشَّمَالِ تُشَارِكُنِي وِسَادَتِي. أَنَا مُزَارِعٌ أَعْرِفُ هَذَا العِطْرَ الأَرْضِيَّ. كَبِرْتُ

بَيْنَ بِقُولِيَّاتِهِ مِثْلَ الفَرَاشَةِ. تَعَالَ إِلَى هُنَا؛ أُنْظُرُوا إِلَى حَلَاوَةِ نَهْرِ الفُرَاتِ. لَا يَعْرِفُ أَيَّ حِقْدٍ.

تَرَانِي هُنَا، مَعَ هَذَا العَقْلِ السَّاكِنِ وَالجِسْمِ غَيْرِ المجْدِي، رَجُلٌ شَرْقِيٌّ يَغْرَقُ فِي الأَوْهَامِ. أَنَا طَبِيبٌ وَأَعْرِفُ جَيِّداً المذَاقَ الملْتَهِبَ لِلَحْظَاتِ الوَهْمِ الغَرِيبَةِ. إِنَّهَا مِثْلُ الأَوْرَاقِ الرَّمَادِيَّةِ الَّتِي اخْتَفَتْ فِي البِحَارِ المالِحَةِ دُونَ أَلَمٍ. أَنَا فِي وَقْتِ عَطَشٍ دَائِمٍ، وَقَلْبِي خَافِتٌ مِثْلَ الوَهْمِ الجَافِّ.

إِنِّي رَجُلٌ مَصْنُوعٌ مِنَ الخَشَبِ وَلَا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الكِذْبِ. هَلْ لِي أَنْ أَقِفَ فِي قَلْبِ هَذَا الشَّلَّالِ؟ أَعْنِي بَعِيداً عَنْ رَمَادِكَ الشَّاحِبَةِ. أَنَا ابْنُ القَمَرِ البَاهِتِ. يَدِي بَارِدَةٌ جِدّاً وَشَفَتَايَ مُتَصَدِّعَتَانِ كَقَلْبِ أَرْمَلَةٍ. أَنَا شَجَرَةٌ هَامِدَةٌ مَعَ حِكَايَاتٍ عَدِيمَةِ اللَّوْنِ. أَنَا رَجُلٌ لَا أَسْتَطِيعُ العَيْشَ بِقَارِبِ شُجَاعٍ. هُنَا، فِي أَرْضِي المدَمَّرَةِ، لَا مَجْدَ وَلَا قَصَائِدَ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ هُوَ مَوْتٌ شَاحِبٌ. أَنَا ظِلٌّ مُحَطَّمٌ، فَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَرَى وَجْهِي.

بِتُّ مُزَارِعاً مِنَ الجَنُوبِ؛ خَلَقْتُ قَلْبِي مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ وَنَبْضِ أَنَاشِيدِ طُيُورٍ. فِي الشَّفَقِ، أُحَاوِلُ تَقْبِيلَ وُجُوهِ الجِنِّيَّاتِ، وَفِي المسَاءِ، غَرِقْتُ بِسَعَادَةٍ فِي مُحِيطٍ خَفِيٍّ. أَنَا رَجُلٌ مِنَ الأَرْضِ المدَمَّرَةِ. قُتِلَتْ أَحْلَامِي كَطَائِرٍ جَمِيلٍ وَسُرِقَتِ ابْتِسَامَتِي فِي يَوْمٍ مُشْرِقٍ. أَقِفُ تَحْتَ هَذِهِ البَقَايَا كَظِلٍّ بِلَا أَرْجُلٍ أَوْ رَأْسٍ. أُحَاوِلُ البُكَاءَ وَأُحَاوِلُ دَائِماً غَسْلَ قَلْبِي المرّ، لَكِنَّ الرِّيَاحَ العَاصِفَةَ تُلَوِّثُ رُوحِي دَائِماً بِنَسِيمٍ جَافٍّ.

وَإِنَّمَا أَنَا صَامِتٌ كَرُوحٍ جَاءَتْ مَعَ الشِّتَاءِ؛ إِنَّهُ يُمْسِكُ بِكُلِّ الأَلْوَانِ الدَّافِئَةِ وَيُزِيحُهَا مِنْ أَحْلَامِي. كَانَ صَوْتُهُ فِضِّيّاً كَشَلَّالٍ وَكَفُّهُ نَاعِمَةً كَالقَمَرِ. أَنَا رَجُلٌ بَسِيطٌ مِنَ الجَنُوبِ لَا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ لُعْبَةِ "البِيسْبُولِ". رُبَّمَا سَأُرَافِقُ يَوْماً مَا شَاعِراً مِنْ نِيُويُورْكَ عَلَى جِسْرِ "بُرُوكْلِينَ"، فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَأَجْمَعُ قَطَرَاتِ المطَرِ مِنْ "شَاعِرٍ فِي نِيُويُورْكَ" مِنَ الجَادَّةِ الخَامِسَةِ وَأَقْوَاسَ قُزَحَ مِنْ تِمْثَالِ الحُرِّيَّةِ. أَنَا رَجُلٌ مِنْ أُورُوكَ، لَكِنْ يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ رُوحِي العَائِمَةِ الَّتِي يُمْكِنُهَا المشْيُ بِثَبَاتٍ فَوْقَ جِسْرِ "بُرُوكْلِينَ" وَالنَّوْمُ بِجُهْدٍ شَدِيدٍ بِالقُرْبِ مِنْ "سِنْتْرَال بَارْك" فِي تِلْكَ المدِينَةِ الصَّاخِبَةِ.

لَسْتُ رَجُلًا مَوْهُومًا، بَلْ أَنَا عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ ٱلْأَرْوَاحَ ٱلْغَرِيبَةَ هِيَ دِمَاءُ عَالَمِنَا.

أُشَابِهُ أَيَّ شَابٍّ عِرَاقِيٍّ يَرْنُو بِمِلْءِ عَيْنَيْهِ نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمَجْهُولَةِ. أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَأَنْ أَعِيشَ فِي ذُلٍّ فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلَّتِي مَلَأَتْ قَلْبِي بِوَحْدَةٍ مُلَوَّنَةٍ وَبُرُودَةٍ شَدِيدَةٍ.

يُحَاصِرُنِي ٱلتَّلَوُّثُ وَٱلْعَمَى، لَكِنْ يَتَحَتَّمُ عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ نَقَائِي لِرُؤْيَةِ صُورَةِ ذَلِكَ ٱلْجُنْدِيِّ ٱلَّذِي يَتُوقُ إِلَى ٱلْمَوْتِ ٱلْحُرِّ.

يَتَمَلَّكُنِي ٱلْأَسَفُ ٱلشَّدِيدُ ٱلْآنَ لِأَنَّنِي لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ كَجُنْدِيٍّ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْحَيَاةِ ٱبْتِسَامَةً لَا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا إِلَّا بِهَذَا ٱلْمَوْتِ.

أَقِفُ هُنَا كُلَّ يَوْمٍ كَطَائِرٍ غَرِيبٍ. أَقِفُ وَحِيدًا هُنَا وَأَسْتَمِعُ إِلَى ذَلِكَ ٱلصَّوْتِ.. صَوْتِي ٱلْحَارّ.

يَمْضِي بِي ٱلْوَقْتُ وَأَنَا مُرَابِطٌ هُنَا كُلَّ يَوْمٍ فِي ٱنْتِظَارِ عَوْدَةِ رُوحِي ٱلنَّقِيَّةِ لِأَمُوتَ كَجُنْدِيّ.

يُقِيمُ هُنَا رَجُلٌ أَحْمَرُ مِنْ أَرْضِ ٱلْحُرُوبِ، مِعْطَفُهُ دَمَوِيٌّ وَرُوحُهُ مُحَطَّمَةٌ. لَا صَيْفَ هُنَا وَلَا زَهْرَةَ رَبِيعٍ، فَقَطْ شِتَاءٌ أَحْمَرُ.

يَفْلَحُ أَرْضَ ٱلْجُنُوبِ مِثْلِي مَنْ يَعْلَمُ أَنْ لَا شَيْءَ هُنَا سِوَى غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ ٱلْجَافِّ، لِذَلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أُحْضِرَ عَرَبَةً غَجَرِيَّةً إِلَى مَنْزِلِي لِأُعَلِّمَ أَطْفَالِيَ ٱلْحُرِّيَّةَ ٱلْمَائِيَّةَ.

مَا كُنْتُ يَوْمًا غَجَرِيًّا، لَكِنَّنِي فَكَّرْتُ بِجِدِّيَّةٍ فِي ٱلْعَيْشِ فِي ٱلْغَابَةِ دُونَ مُكَيِّفِ هَوَاءٍ، فَقَطْ خَشَبٌ لِلنَّارِ. سَأَشْرَبُ مَاءَ ٱلنَّهْرِ مَعَ ٱلطُّيُورِ وَآكُلُ ٱلْأَوْرَاقَ ٱلْخَضْرَاءَ مَعَ ٱلْغِزْلَانِ.

يَتَيَّمُنِي عِشْقُ ٱلْيَنَابِيعِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ إِخْفَاءَ حَمَاسِي فِي لَحَظَاتِ ٱلشَّوْقِ. مَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ إِذَا كَانَتِ ٱلنَّوَافِذُ ٱلْعَمِيقَةُ لَا تَرَى إِلَّا ٱلنَّسِيمَ ٱلسَّاحِرَ؟

وُلِدْتُ مِنْ رَحِمِ ٱلشِّتَاءِ.. أَسْلَافِي قَدْ تَرَكُونِي وَحِيدًا فِي هَذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْمُتَجَمِّدَةِ. ٱنْظُرْ إِلَى وَجْهِي؛ إِنَّهُ عَدِيمُ ٱللَّوْنِ وَٱلْمَسْ يَدِي إِنَّهَا قَصِيرَةٌ وَمَيِّتَةٌ.

تَمْثُلُ أَمَامَكَ قِصَّةٌ بَاهِتَةٌ مَعَ فَشَلٍ كَبِيرٍ يَقْسِمُ ٱنْتِظَارِي.

تَمْتَدُّ رُوحِي كَصَحْرَاءَ جَافَّةٍ تَنْتَهِي بِحَنِينِي كَعَرُوسٍ حَزِينَةٍ يَجْلِسُ ٱلْمَوْتُ فِي حُلْمِهَا.

مَا كُنْتُ يَوْمًا شَجَرَةَ لَوْزٍ وَلَا صَوْتًا دَافِئًا، لِذَا فَإِنَّنِي دَائِمًا أَنْحَنِي فِي ٱلصَّبَاحِ بِوَجْهٍ ثَلْجِيٍّ وَأَتَحَوَّلُ إِلَى حِكَايَةٍ شَدِيدَةِ ٱلْبُرُودَةِ.

وُلِدْتُ مِنْ رَحِمِ ٱلْحَرْبِ، فَقَلْبِي صَحْرَاءُ جَافَّةٌ وَٱلرَّقَصَاتُ ٱلْقَاسِيَةُ تَعْجِنُ ذَاكِرَتِي.

يَنْبُضُ فِي دَمِي شَاعِرٌ بَابِلِيٌّ، حَيَاتِي هِيَ ٱلْحُزْنُ نَفْسُهُ وَطُرُقِي هِيَ ٱلْمَوْتُ بِعَيْنِهِ.

أَتَيْتُ مِنَ ٱلْجَنُوبِ حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ يَبْكِي حَتَّى ٱلشَّمْسُ، نِسَاؤُنَا لَا يَعْرِفْنَ إِلَّا ٱلْبُكَاءَ وَأَثْدَاؤُهُنَّ نَسِيَتِ ٱللَّبَنَ وَٱلْجَمَالَ.

يَعِيشُ فِعْمَانِي رَجُلٌ بَسِيطٌ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْمُلَوَّنَةِ، لَكِنَّ رُوحِي تَظْهَرُ فِي حُلْمِي كَزَهْرَةٍ مُبْتَسِمَةٍ ذَاتِ شَعْرٍ طَوِيلٍ.

يَقْضِي أَيَّامَهُ مِثْلِي مُزَارِعٌ بَسِيطٌ، لَكِنْ يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ رُوحِ "إِيفِلَ" مِنْ سَاقِيَتِنَا ٱلْقَدِيمَةِ. لَسْتُ حَالِمًا كَبِيرًا عِنْدَمَا أَرْغَبُ فِي ٱلنَّوْمِ بِٱلْقُرْبِ مِنْ "سِنْتْرَال بَارْك" فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْهَادِئَةِ.

أُشَابِهُ فَرَاشَةً بِعُيُونٍ مُلَوَّنَةٍ، عَلَى أَجْنِحَتِي كَانَ ٱلصِّغَارُ ٱلْحَالِمُونَ يَتَغَذَّوْنَ، وَعَلَى جُفُونِي عَاشِقٌ فِضِّيٌّ يَرْقُدُ.

تَبُوءُ مُحَاوَلَاتِي بِٱلْفَشَلِ لِتَلْوِينِ رُوحِي بِنَظْرَةٍ عَاصِفَةٍ، فَلَا تَرَى شَيْئًا هُنَا فِي أَعْمَاقِي سِوَى ٱلْخَسَارَةِ.

أَوْرَثَتْنِي ٱلْحَرْبُ بَنُوَّتَهَا، فَقَلْبِي صَحْرَاءُ جَافَّةٌ وَذَاكِرَتِي مِرْآةٌ مَكْسُورَةٌ تَعْجِزُ بِرَقَصَاتٍ قَاسِيَةٍ.

كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ آخِرَ عَاشِقٍ فِي هَذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُحَطَّمَةِ. ٱنْظُرْ إِلَى قَلْبِي سَتَجِدْهُ فَارِغًا، وَٱنْظُرْ إِلَى عَيْنِي إِنَّهَا عَمْيَاءُ وَحَمْرَاءُ.

أَقِفُ كَشَجَرَةٍ عَمْيَاءَ لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ نَسِيمِ ٱلْمَسَاءِ وَهُتَافَاتِهِ، كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ هُوَ مُحَاوَلَةٌ فَاشِلَةٌ لِلْقَبْضِ عَلَى بَقَايَا هَذَا ٱلْعَالَمِ.

تَحْضُنُنِي مَدِينَةٌ رَمَادِيَّةٌ حَيْثُ لَا صَوْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَتَّى ٱلْبَنَاتِ، ٱلْجُسُورُ عَمْيَاءُ جِدًّا مَعَ رَائِحَةِ ٱلْفَمِ ٱلضَّعِيفَةِ تَمَامًا مِثْلَ جُفُونِ طَائِرِي ٱلْمَرِيضِ.

يَكْبُرُ فِي دَاخِلِي مُزَارِعٌ قَدِيمٌ لَكِنَّنِي أُحِبُّ ٱلْجِنِّيَّاتِ ٱلْعَمْيَاوَاتِ فِي نَهْرِنَا، أَعْرِفُ نَغَمَاتِ أَصْوَاتِهِنَّ وَتَرَانِيمَهُنَّ ٱلسَّاحِرَةَ وَلَوْنَ ٱلْحِنَّاءِ ٱلْقَدِيمَةِ.

نَشَأْتُ عَاشِقًا مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْأَعْمَى، وَأُمْنِيَاتِي نَقِيَّةٌ لِلْغَايَةِ وَقِصَصِي لَا تَنْتَهِي.

يَسْتَغْرِقُنِي ٱلْوَقْتُ وَأَنَا مَشْغُولٌ جِدًّا بِإِحْضَارِ بَعْضِ ٱلْمَاءِ إِلَى سَحَابَةٍ مَالِحَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ.

تَشَرَّبْتُ طِبَاعَ مُزَارِعٍ مِنَ ٱلْجَنُوبِ، وَيُمْكِنُنِي أَنْ أُحِبَّ أَيَّ شَيْءٍ، لَكِنْ صَدِّقُونِي؛ تِلْكَ ٱلسَّحَابَةُ ٱلْمَالِحَةُ مَلَأَتْ قَلْبِي بِٱلْقِطَطِ ٱلرَّطْبَةِ. أَجَلْ، ٱلْقِطَطُ جَمِيلَةٌ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ رَطْبَةً.

كُنْتُ يَوْمًا ٱبْنَ ٱلضَّحِكَاتِ ٱلْخَضْرَاءِ، لَكِنِ ٱنْظُرْ إِلَيَّ؛ هَلْ تَرَى شَيْئًا مَا عَدَا ٱلْجَفَافِ؟ أَرْكَانِي مُظْلِمَةٌ مِثْلَ رُوحِ هَذِهِ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْوَيْلُ يَخْتَرِقُ أَنْفَاسِي مِثْلَ أَقْدَامِ ٱلْغُزَاةِ.

خَرَجْتُ مِنَ ٱلصَّحْرَاءِ، فَٱنْظُرْ إِلَى عَبَاءَتِي وَسَتَعْرِفُ ٱلْقِصَّةَ. نَعَمْ؛ قَدْ يَكُونُ هُنَاكَ خُضْرَةٌ مَخْفِيَّةٌ فِي ٱلصَّحْرَاءِ لَكِنْ صَدِّقُونِي لَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي قَلْبِي سِوَى ٱلْفَرَاغِ.

يُجَافِينِي ٱلسَّعَادَةُ رَغْمَ كُلِّ ٱلْقِصَصِ عَنْ حَضَارَتِنَا، فَكُلُّ مَا يُمْكِنُنِي رُؤْيَتُهُ هُوَ أَيَّامٌ مِنَ ٱلدُّخَانِ.



دار أقواس للنشر
العراق 2026